مَن يحب الله
ومَن يبغض
من الناس

مَن يحب الله من الناس

يحب الله المحسنين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله محسن يحب الإحسان**»[2].

الإحسان[3]: الإحسان هو لبُّ الإيمان وروحه وكماله، وهو أعلى مراتب الدين وغايتها، وأعظم أخلاق عباد الله الصالحين، وجامع لكل الأخلاق العالية والصفات الحسنة؛ وأصل العبودية لله ودوران أحوالها على أمرين: تعظيم قدرة الله تبارك وتعالى، والإحسان إلى خلق الله بالقول والفعل.

سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان، فقال ﷺ عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[4]. إن الإحسان صفة الله وهو المحسن المجمل، والإحسان الذي به سمى العبد محسنًا أن يعبد الله كأنه يراه، أي؛ يعبده على المشاهدة. والإحسان هو كمال الحضور مع الله -عزَّ وجلَّ-، ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له. وأن يعلم العبد على الدوام ويتيقن باطلاع الحق - سبحانه وتعالى - على ظاهره وباطنه. فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي (المراقبة) وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله. وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نَفَس وكل طرفة عين. فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أي؛ فإن لم تحسن فهو المحسن.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٢٤.

(٣) راجع: مدارج السالكين لابن القيم ٢/٦٤، ٤٢٩، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٦٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان.

المحسنون: هم الذين يؤدون العبادة على وجهها الأكمل أداءً خاليًا من الرياء ويتقنونها ويخلصون فيها، ويراقبون ربهم - تبارك وتعالى - في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك ويستحضرون عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار. ويغلب عليهم مشاهدة الحق بقلوبهم فكأنهم يرونه، أو يستحضرون أن الحق مطلع عليهم يرى كل ما يعملون.

والإحسان يدخل فيه الإسلام والإيمان، والمحسن لا يكون محسنًا إلا إذا كان مسلمًا مؤمنًا، فالمحسنون هم المسلمون الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلاً.

والمحسنون هم المؤمنون الذين يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار، والميزان، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره.

والمحسنون هم الذين يحسنون في أعمالهم بامتثال الطاعات، ويخلصون لله العمل وينقادون لأمره ويتبعون شرعه، وينتهون عما نهى عنه وزجر، ويتبعون في أعمالهم ما شرعه الله لهم وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، ويعدلون إذا حكموا، ويحسنون القول إذا قالوا.

وهم الذين ينفقون في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم.. ويحسنون الظن بالله في إخلافه عليهم.. وينفقون في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال.. ولا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في مراضيه، والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر.

وهم الذين يكظمون الغيظ، فإذا ثار بهم الغيظ يكتموه فلا يعملوه، ولا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله -عزَّ وجلَّ-. والعافين عن الناس، فمع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

يحب الله المتقين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

التقوى: قال رسول الله ﷺ: «**التقوى ههنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرات[2]، وفي رواية: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» وأشار بأصابعه إلى صدره[3]، أي؛ إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته[4].

المتقون: المتقون هم الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ومما رزقهم الله ينفقون، والذين يؤمنون بما أُنزل إلى محمد ﷺ، وما أُنزل من قبله، وبالآخرة هم يوقنون. الذين يوفون بعهودهم ويتقون محارم الله ويطيعون الله ويتبعون شريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم..

وهم الذي ينفقون في سبيل الله، ويكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس.. الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده؛ فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب فإذا هم مبصرون؛ فاستقاموا وصحوا مما كانوا فيه..

قال ابن عباس: هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بي ويعملون بطاعتي. وقال أيضاً: الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. وقال الحسن البصري: اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدُّوا ما افترض عليهم. وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أُبَي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى[5]. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٤) النووي: شرح صحيح مسلم ١٢١/١٦.

(٥) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢/١، ٢٩٠/٢.

(٦) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

يحب الله المتوكلين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

التوكل[2]: التوكل في اللغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير؛ يقال وكلت أمري إلى فلان، أي؛ ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانًا استكفاه أمره ثقة بكفايته، والمراد بالتوكل التوكل على الله -عزَّ وجلَّ-؛ وهو عمل قلبي ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات. ومن الناس: من يفسره بالاسترسال مع الله مع ما يريد. ومنهم: من يفسره بالرضى بالمقدور. وقال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حال. وقيل غير ذلك؛ وحقيقة الأمر أن التوكل حال مركبة من مجموعة أمور: معرفة بالرب وصفاته، إثبات في الأسباب والمسببات، رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل فلا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، اعتماد القلب على الله تعالى واستناده إليه وسكونه إليه، حسن الظن بالله -عزَّ وجلَّ-، استسلام القلب له، التفويض، الرضى؛ وهي ثمرة التوكل. ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده. فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله. وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب. فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد. فقد كان التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته. فمن طعن في الحركة فقد طعن في السنة. ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

والتوكل هو منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقربين؛ وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه، ومضمون كفاية الله تعالى مُلابسه، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه: فقد فاز الفوز العظيم، فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٢٤٣/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٢/٤، والفوائد لابن القيم ١٤٨-١٤٩، ومدارج السالكين لابن القيم ١١٤/٢-١٢٢، وفتح الباري للعسقلاني ٣٠٥/١١.

المتوكلون: المتوكلون هم الذين يتوكلون على الله ويعتمدون عليه مع إظهار العجز، ويفوِّضون جميع أمورهم إليه.. ويثقون بالله ويوقنون بأن قضاءه ماض، ويتبعون سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب وتحرزٍ من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة.. ولا يطمئنون إلى شيء من تلك الأسباب ولا يلتفتون إليها بالقلوب ولا يتعاطونها إلا بحكم الأمر، فإنها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًا، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته.

المتوكل: المتوكل هو الذي ترك الاختيار والتدبير في رجاء زيادة أو خوف نقصان أو طلب صحة أو فرار من سقم، وعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفسه، وأرحم به منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه. وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه، فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات، وحمَّل كَلَه وحوائجه ومصالحه مَن لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبرَّه ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه؛ لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه وجعله وحده همه فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه وفرَّغ قلبه منها..

والله سبحانه قد أمر العبد بأمر وضمن له ضمانًا، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد، قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج، فإنه سبحانه ضمن الرزق لمن عَبَدَه، والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همه ومراده، والمغفرة لمن استغفره، وقضاء

الحوائـــج لمن صدقـــه في طلبها ووثق به وقـــوي رجاؤه وطمعه فـــي فضله وجوده. ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[1]. ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2].

يحب الله الصابرين

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[3].

قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان: الصبر والسماحة**»[4].

الصبر: الصبر في اللغة: الحبس والكف. فهو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللســـان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله تعالى. وصبر عن معصية الله تعالى. وصبر على امتحان الله تعالى. وقيـــل: الصبر هو الصبر على المصائب والنكبات وأنواع المكاره في الدنيا، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وألا يعترض على المقدور.

الصابرون: الصابرون هم الذين يصبرون على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين.

ويصبرون على العبادات، ويصبرون عن المعاصي والشهوات وعلى مخالفة أهواء النفس، وعدم اتباع خطوات الشيطان.

ويصبرون على الجهاد، ولا يضعفون لما يصيبهم في سبيل الله، ولا يضعفون عن عدوهم ولا يخضعون، ويصبرون ولا يفرُّون ويوطنون أنفسهم على الموت. ويصبرون عن محبة الدنيا ويرغبون في الدار الآخرة.

ويصبـــرون على الأمراض والبلاء وأذى الناس واســـتهزائهم بهم على التزامهم بالدين ويحتســـبون عند الله رجـــاء ثوابه، ويصبرون على الأقـــدار والمصائب وإذا

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٧٩٥.

أصابتهم مصيبة قالوا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرًا منها. ويصبرون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يصيبهم بسببه من الأذى.

إن من حسن التوفيق وأمارات السعادة الصبر على الملمات، والرفق عند النوازل. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

يحب الله المتبعين لرسوله

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[2].

المتبعون لرسول الله ﷺ[3]: المتبعون لرسول الله ﷺ هم الذين يحبون الله تعالى فيتبعون محمدًا ﷺ ويسيرون على نهجه، ولا يبتدعون في الدين ما لم يأت به النبي ﷺ؛ لأن هذا شرط لمحبة الله لهم. ويستحيل ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم دون المتابعة لرسوله ﷺ. قال بعض السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ الآية.

إن الله يحب من أطاع رسوله ﷺ واتبع سنته.. وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[4]، وفي رواية ثانية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[5]. والرد معناه مردود فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٦/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئًا. فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[1] أي؛ أن مخالفة النبي ﷺ في طريقته كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولوا العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته.

يحب الله المقاتلين في سبيله

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[2].

المقاتلون في سبيل الله[3]: المقاتلون في سبيل الله هم الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ويجاهدون في الله حق جهاده ويدعون إليه تعالى، وينشرون دينه الإسلام.

عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ الآيات[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٤/١٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٣/٤.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٣٦.

قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾، فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

والله -عزَّ وجلَّ- يحب الذين يصفُّون أنفسهم صفًّا للقتال ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ متلاصق بعضه ببعض كقطعة واحدة، ويحب الذي يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء، ولا يخرج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان، أو في رسالة يرسلها الإمام، أو في منفعة تظهر في المقام، كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها. وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف على قولين أحدهما: إنه لا بأس به إرهابًا للعدو، وطلبًا للشهادة وتحريضًا على القتال. وقالوا: لا يبرز أحد طالبًا لذلك؛ لأن فيه رياءً وخروجًا إلى ما نهى الله عنه من لقاء العدو، وإنما تكون المبارزة إذا طلبها الكافر؛ كما كانت في حروب النبي ﷺ يوم بدر وفي غزوة خيبر، وعليه درج السلف.

يحب الله الأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[1].

هؤلاء القوم يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، ويغلظون على الكافرين ويعادونهم. قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته. فمن صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، رحيمًا بالأخيار، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن، شديدًا عنيفًا على الكفار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، متعززًا على خصمه وعدوه كما قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[2].

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وهؤلاء القوم يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل، بخلاف المنافقين الذين يخافون الدوائر[1].

يحب الله المقسطين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2].

المقسطون: المقسطون هم العادلون المحقون الذين يدعون إلى الحق، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتقون الله، ويصلون الرحم.

وهم الذين يحكمون بين الناس بالقسط، أي؛ بالحق والعدل، ويقضون بينهم بحكم الله الذي أنزله في كتابه.

وهم الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم.

قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما وَلُوا**»[3]. فهذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من: خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك[4].

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٣/٢، ٢١٨/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٣/٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٤) النووي: شرح صحيح مسلم ٢١٢/١٢.

يحب الله التوابين والمتطهرين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

التوابون: التوابون هم الذين إذا فعلوا سيئة أو فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فندموا وتابوا وآمنوا ورجعوا إلى الله من قريب، واستغفروا لذنوبهم ولم يستمروا على ما فعلوا من المعصية غير مقلعين عنها، وعزموا ألا يعودوا إليها أبدًا، وأتبعوا توبتهم الأعمال الصالحة، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه، ومن تاب تاب الله عليه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

المتطهرون: المتطهرون هم الذين يتنزهون عن الأقذار والأذى، الذين يعتزلون النساء في المحيض ولا يأتونهن في أدبارهن.. ويتطهرون بالماء من الجنابة والأحداث، ويحرصون دائمًا على النظافة؛ لأنها من الإيمان، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

فالله -عزَّ وجلَّ- هو الآمر بالتوبة وهو يحب التوابين ويحب المتطهرين، وهم الذين رجعوا إليه وطهروا بقربه من أرجاسهم، فإذا تقربوا إليه بما يحبه أحبهم، وإذا أحبهم غار عليهم أن يظهر أحد على نقص أو على خلل فيهم، ويسبل عليهم ستره الأعظم. فإذا قبل تعالى توبة عبده أنسى الخلق ذنوبه، وأسبل عليه ستر الوقار لينظر إليه بعين الإجلال لا الاحتقار؛ وذلك لأن المؤمن عليه لباس التقوى وهو وقايته، وهو بين الخلق في ذلك اللباس موقر ومهاب، وتقواه لا ترى وإنما يرى طلاوة ذلك اللباس وزهوته، فإذا أذنب فقد تدنس اللباس وذهب ذلك الوقار، فإذا تاب أنسى الله الحفظة وجوارحه ذلك لتعود له المهابة والإجلال[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٣) فيض القدير للمناوي ٣١٣/١.

يحب الله المتقرب إليه بالنوافل

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[1].

المتقرب إلى الله بالنوافل[2]: المتقرب إلى الله بالنوافل هو الذي يؤدي الفرائض التي افترضها الله تعالى عليه، كالصلاة، والزكاة، والصيام وغيرها، ويزيد عليها بالنوافل، أي: التطوع من صلاة، وصيام، وصدقة وغيرها، ويداوم على الإتيان بها.

إن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى، والأمر بها جازم، ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل؛ فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبًا، والفرض كالأصل والأس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد اليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفًا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارًا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته.

وفي الحديث عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها؛ وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقر لعين العبد منها؛ ولهذا جاء في الحديث «**وجُعلَتْ قرة عيني في الصلاة**»[3]، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: التواضع.

(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٣٤٣/١١، وشرح متن الأربعين النووية ١٢٧- ١٢٨.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣١٢٤.

كانت قرة عينه في شيء فإنه يود ألا يفارقه ولا يخرج منه؛ لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإن السالك غرض الآفات والفتور... وهذا الحديث أصل في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه، إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان، والظاهرة وهي الإسلام، والمركب منهما وهو الإحسان فيهما كما تضمنه حديث جبريل، والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها، وفي الحديث أيضًا أن من أتى بما وجب عليه وتقرب بالنوافل لم يرد دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم... وفيه أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبًا لله لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية.

وقوله «**يتقرب إليَّ**» التقرب طلب القرب، وقيل: قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه، ثم بإحسانه. وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه، وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه. ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق. وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس، وباللطف والنصرة خاص بالخواص، وبالتأنيس خاص بالأولياء.

فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله، فإذا أحب الله عبده شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان، واستعمل أعضاءه في الطاعة، وحبب إليه سماع القرآن والذكر، وكره إليه سماع الغناء وآلات اللهو وصار من الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾[2]، فإذا سمعوا منهم كلامًا فاحشًا أضربوا عنه وقالوا قولاً يسلمون فيه، وحفظ بصره عن المحارم فلا ينظر إلى ما لا يحل له، وصار نظره نظر فكر واعتبار، فلا يرى شيئًا من المصنوعات إلا استدل به على خالقه، وقال علي رضي الله عنه: «ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله تعالى قبله».

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

ومعنى الاعتبار العبور بالفكر في المخلوقات إلى قدرة الخالق، فيسبح عند ذلك ويقدس ويعظم وتصير حركاته باليدين والرجلين كلها لله تعالى، ولا يمشي فيما لا يعنيه ولا يفعل بيده شيئًا عبثًا، بل تكون حركاته وسكناته لله تعالى. فيثاب على ذلك في حركاته وسكناته وفي سائر أفعاله.

وقوله «**بالنوافل حتى أحبه**» ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، والمراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها... وقيل إن معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرها أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى... وأيضًا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ما عليه من دين. وأيضاً فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض.. فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها، كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

قوله «**كنت سمعه الذي يسمع به**» إلخ، قد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ؟ والجواب من أوجه: **أحدها**: أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري، فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح. **ثانيها**: أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به. **ثالثها**: أن المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ. **رابعها**: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه. **خامسها**: أن المعنى كنت حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك إلخ.

سادسها: أن المعنى لا يسمع إلا ذكري، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك.. وقيل: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد

وتأييـــده وإعانته.. وقال الخطابي: هذه أمثـــال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عـــن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بســـمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنـــه ببصـــره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن الســـعي إلـــى الباطل برجله.. **ســـابعها:** قال الخطابي أيضًا: وقد يكون عبر بذلك عن ســـرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.

أحب الناس إلى الله إمام عادل

قال رســـول الله ﷺ: «**إن أحب النـــاس إلى الله عزَّ وجلَّ يـــوم القيامة، وأقربهم منه مجلسًا إمام عادل**»[1].

الإمـــام العـــادل[2]: الإمـــام العادل هـــو كل من إليه نظر في شـــيء من مصالح المسلمين فعدل فيه من الولاة والحكام. وهو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعـــه من غير إفراط ولا تفريط. وهو الـــذي يديم النصيحة لعباد الله ويعرفهم ما يجب عليهم في أمور دينهم ودنياهم، ويقوم بما يتعين عليه من حفظ شـــرائعهم، ويحفظ حقوقهم، ويحمي حوزتهم، ويجاهد عدوهم، ويردع المفســـدين منهم، ويقيم الحدود فيهم.

والإمام العادل له درجات عالية ومنازل رفيعة في الآخرة؛ وقد بشَّر رسول الله ﷺ بحســـن عاقبة الذين يعدلون في حكمهم وما ولوا فقال ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فـــي حكمهـــم وأهليهـــم وما وَلُـــوا**»[3]، فهذا الفضل إنما هو لمـــن عدل فيما تقلده من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو نظر على يتيم، أو صدقة، أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١١١١٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢١/٧، ٢١٢/١٢، وفتح الباري العسقلاني ١٤٥/٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

والإمـــام العادل هـــو أيضًا من الســـبعة الذين يظلهم الله فـــي ظله، قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل..**»[1]، وبدأ به في الذكر قبل الستة الآخرين لكثرة مصالحه وعموم نفعه.

ومـــن فضل الله تعالى في الدنيا على الإمام العادل أنه لا يرد دعوته إذا دعاه، قال رســـول الله ﷺ: «**ثلاث لا يُـرَدُّ دعوتهم: الإمـام العادل، والصائـم حين يفطر، ودعـوة المظلـوم**»[2]، وهنا أيضًا بدأ به وقدمه على الآخريـــن؛ لأن في الإمام العادل منافع تعم جميع من يحكمهم أو يلي أمرهم من الناس.

أحب الناس إلى الله أنفعهم

قال رســـول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشـي مع أخي المسـلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسـجد شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها لـه، أثبـت الله تعالـى قدمه يوم تـزل الأقدام، وإن سـوء الخُلُق ليفسـد العمل، كما يفسد الخلُ العسلَ**»[3].

أنفـع النـاس: أنفع الناس هو الذي ينفع نفســـه ووالديه وأهله وأولاده وإخوانه المسلمين.

ينفع نفسه وأهله وأولاده بامتثال أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، وأداء العبادات والطاعات وكل ما يؤدي به وبهم إلى الفوز بالجنة وســـعادتهم في الآخرة، واجتناب نواهي الله -عزَّ وجلَّ- ورسوله ﷺ، وترك المحرمات والمنكرات وكل ما يؤدي به وبهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٥٠.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٦.

إلى جهنم وشقائهم في الآخرة. وينفع والديه بأن يبرَّهما ويدخل السرور إليهما ويقوم على خدمتهما.

وينفع إخوانه المسلمين بأحب الأعمال إلى الله: سرور يدخله على مسلم بفعل المعروف له وأدناه أن يلقاه بوجه طلق بشوش مبتسم لقول النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[1]، وقوله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»[2].

أو كربة وهي الغمة يزيلها عن مسلم ويفرِّجها عنه بماله أو جاهه أو مساعدته أو إشارته ورأيه ودلالته، لقول النبي ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»[3].

أو دين يقضيه عنه، أو يؤخر مطالبته إن كان هو صاحب الدين، وقد قال النبي ﷺ: «**من أنظر معسرًا، فله بكل يوم مثله صدقة، قبل أن يحلَّ الدَّين، فإذا حلَّ الدَّين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة**»[4]، وقال ﷺ: «**من يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة**»[5]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فليُنفس عن معسر أو يضع عنه**»[6]؛ أو يسقط الدين عن أخيه ويتصدق به عليه وهو خير من تأخير مطالبته، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[7]، وقال رسول الله ﷺ: «**من أنظر معسرًا، أو وضع عنه أظلَّه الله في ظله**»[8].

أو جوع يطرده عنه لوجه الله تعالى لا يريد بذلك مكافأة ولا ثناءً ولا شكرًا، لقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا**

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٩٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦١٠٨.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر والتجاوز في القضاء.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾[1]، ولقول النبي ﷺ: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وكونوا إخوانًا كما أمركم الله**»[2]؛ ولأنه كما قال ﷺ: «**خيركم من أطعم الطعام، ورد السلام**»[3].

أو حاجة يقضيها لمسلم أو ينفِّذها له أو يساعده فيها أو يمشي معه فيها لقول رسول الله ﷺ: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»[4]، وقوله ﷺ: «**الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[5].

أو غضب يكفه عن الآخرين؛ لأن الله -عزَّ وجلَّ- قد مدح الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[6]؛ ولأن رسول الله ﷺ قد أوصى بعدم الغضب فقال ﷺ: «**لا تغضب**»[7]. وحث عليه الصلاة والسلام على ملك النفس عند الغضب وأن ذلك من العبادة وجهاد للنفس؛ فقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصُرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[8].

أو غيظ يكظمه ولا يعمل غضبه في الناس بل يكف عنهم شره ويحتسب ذلك عند الله -عزَّ وجلَّ-؛ لأن الله تعالى قد أثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك، فقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[9]؛ ولأن رسول الله ﷺ قد حث على كظم الغيظ والعفو عن الناس فقال ﷺ: «**ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله، من جرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله**»[10]. وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٠٨٩.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٣١٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(١٠) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣٧٧.

«من كظم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عزَّ وجلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره الله من الحور ما شاء»[١].

أو سوء خُلُق يتجنبه حتى لا يفسد ما يقوم به من عمل أو خدمة لأخيه المسلم، ويخالق الناس بخلق حسن حتى يدرك درجة الصائم القائم في الليل كما أخبر النبي ﷺ: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم»**[٢]، ولكي يكون أجره ثقيلاً في الميزان يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ: **«ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخُلُق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»**[٣].

إن أحب الناس إلى الله أنفعهم، فهو ينفع الجميع؛ لأنه يعمل بقول رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[٤]، فهو يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه من الخير، ويحب أن يحصل لهم نظير ما يحصل له، وكذلك يبغض لإخوانه ما يبغض لنفسه من الشر، وهو لا يحب أن يكون أفضل من غيره، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش.

أحب العباد إلى الله أحسنهم خُلُقًا

قال رسول الله ﷺ: **«أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلُقًا»**[٥].

حسن الخُلُق[٦]: الخُلُق والخَلْق عبارتان مستعملتان معًا، يقال: فلان حسن الخُلُق والخَلْق، أي: حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرَك بالبصر، ومن

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩٩٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠١٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٢٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٩.

(٦) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٥٢/٣-٧٠، وفتح الباري للعسقلاني ٤٥٦/١٠، ٤٥٩، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٠٧/١٣.

روح ونفس مدرَك بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة. فالخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا سميت تلك الهيئة خُلُقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقًا سيئًا. ولا يوصف الإنسان بخُلُق حسن ما حتى يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وتصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، أما مَن تكلف عمل ما بجهد وروية فلا يقال إن هذا خُلُقه.. ومثال على ذلك الذي يتكلف بذل المال لحاجة عارضة أو يسكت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خُلُقه السخاء والحلم.

إن الخلقة الظاهرة لا يمكن تغييرها في حين الأخلاق على العكس من ذلك حيث تقبل التغيير؛ ولهذا وُجد الدين والدعوة إلى مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجدت الوصايا والمواعظ والتأديبات، وقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[1]؛ فتغيير ما بالنفس من الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة واكتساب أخلاق حسنة جديدة ممكن بالمجاهدة ورياضة النفس؛ وقد كان النبي ﷺ يدعو ربه ليرشده إلى أحسن الأخلاق ويوفقه للتخلق بها: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[2]، وكان ﷺ يوصي: «**وخالق الناس بخُلُق حسن**»[3].

والأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك... والخلق جبلة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها إن كان

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦١٨.

محمـــودًا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصيـــر محمودًا، وكذا إن كان ضعيفًا فيرتاض صاحبه حتى يقوى.

إن لحســـن الخُلُق ثمرات وهي علامات تدل عليه، فقيل: حســـن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى واحتمال المؤن. وقيل: هو ألا يخاصم ولا يخاصم من شـــدة معرفته بالله. وقيل: هو أن يكون مـــن الناس قريبًا وفيما بينهم غريبًا. وقيل: هو إرضاء الخلق في السراء والضراء. وقيل: هو الرضا عن الله تعالى. وقيل: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاســـتغفار له والشـــفقة عليه. وقيل: ألا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويســـكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس. وقيل: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوســـعة على العيال. وقيل: هو ألا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق. وقيل: هو ألا يكون لك هم غير الله تعالى.

وجمع بعضهم علامات حســـن الخُلُـــق فقال: هو أن يكون كثيـــر الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللســـان، قليل الكلام، كثيـــر العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصولاً وقورًا صبورًا شكورًا رضيًا حليمًا رفيقًا عفيفًا شفيقًا، لا لعانًا ولا ســـبابًا ولا نمامًا ولا مغتابًا ولا عجولاً ولا حقودًا ولا بخيلاً ولا حســـودًا، بشاشًا هشاشًا، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**»[1]. وقال عليه الصلاة والســـلام: «**إن المؤمن ليدرك بحســـن خُلُقه درجـــة الصائم القائـــم**»[2]. وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم؛ لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفســـهما في مخالفة حظهما، وأما من يحســـن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًـــا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم في الليل في الطاعة فاستويا في الدرجة بل ربما زاد.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٢٩.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠١٣.

يحب الله صاحب الخصال الثلاث

قال رسول الله ﷺ: «**إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدُّوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثتم، وأحسنوا جوار مَن جاوركم**»[(١)].

قال ﷺ: «**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، صدقُ الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخُلُق، وعفة مطعم**»[(٢)].

أداء الأمانة[(٣)]: أداء الأمانة هي أن يقوم المؤتَمَن بتسليم المؤتمِن ما أودعه عنده وائتمنه عليه من مال أو غيره وهي ضد الخيانة؛ وقد أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بأداء الأمانة وعدم الخيانة فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[(٤)]؛ وقال رسوله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخن مَن خانك**»[(٥)]. قال ابن عباس: لم يرخص الله لمعسر ولا لموسر أن يمسك الأمانة. وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها الأبرار منهم والفجار. وحاصله أن الأمانة لا تخان أبدًا؛ لأن صاحبها إما أمين أو خائن، وعلى التقديرين لا تخان، «**ولا تخن من خانك**» فيه دليل على أنه لا يجوز مكافأة الخائن بمثل فعله... ويصح الاستدلال به على أنه لا يجوز للإنسان إذا تعذر عليه استيفاء حقه أن يحبس عنده وديعة لخصمه أو عارية.

وأداء الأمانة من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾[(٦)] أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدوا الأمانات إلى أهلها، لا كإحدى صفات المنافقين وهي «**إذا اؤتمن خان**»[(٧)]؛ فمن يخون فلا أمانة له

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٤٠٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٨٧٣.

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢٧/١، وعون المعبود للعظيم آبادي ٣٢٧/٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٦/٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٠١٨.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

ومَـن لا أمانة لـه لا إيمان له كمـا أخبرنا المصطفـى ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[١].

وأمْـر الله - تبارك وتعالى - ورسـوله ﷺ عن أداء الأمانة يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسـان من حقـوق الله -عزَّ وجلَّ- على عبـاده من الصلاة والزكاة والصيـام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمـن عليه لا يطلع عليه العباد، ومـن حقوق العباد بعضهم على بعض كالأسـرار والودائـع وغير ذلك مما يأتمنون بـه من غير اطلاع بينة على ذلـك، فأمَر الله -عزَّ وجلَّ- بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت عن رسـول الله ﷺ أنه قال: «**لتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[٢].

صـدق الحديـث: صدق الحديث هو ضد الكذب؛ وهو أن يصدق الإنسـان في كلامه الذي يتحدث به إلى الناس ويتحرى الصدق بكل ما يتلفظ به لسانه ويتجنب الكذب. وقد حذَّر رسـول الله ﷺ من الكذب حتى ولو كان على سـبيل الإضحاك فقـال ﷺ: «**ويل للـذي يحدث بالحديـث ليضحك به القـوم فيكذب، ويـل له، ويل له**»[٣].

بل إن الذي يحدث بكل ما يسـمعه من الناس كفاه كذبًا، قال ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[٤]، أي؛ يكفيه ذلك من الكذب فإنه قد استكثر منه؛ لأن ما يسمعه الإنسان فيه الصدق وفيه الكذب، فإذا حدَّث بكل ما سمع حدَّث بالكذب لا محالة، وقد أخبر ﷺ أن من علامات المنافق: «**إذا حدَّث كذب**»[٥].

ولهـذا حذَّر النبي ﷺ من الكذب حتى لا يـؤدي بصاحبه إلى النار فقال عليه الصلاة والسـلام: «**إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا**»[٦]؛ فهذا

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧١٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم الظلم.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨٥.

(٤) أخرجه مسلم في باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

تحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله كذابًا إن اعتاده واستحق صفة الكذابين وعقابهم، فإما يُشتهر بهذه الصفة في الملأ الأعلى وإما بأن يلقى ذلك في قلوب الناس وألسنتهم. وحتى لا يقع المسلم في ذلك حث النبي ﷺ على الصدق وقصده والاعتناء به حتى يؤدي به إلى الجنة ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم ويُشتهر بذلك في الملأ الأعلى أو عند الناس[1]، فقال ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا**»[2].

والله -عزَّ وجلَّ- يرضى عن الصادقين وفي الآخرة لهم الفوز العظيم، قال تعالى: ﴿ **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[3]. ولأن الصدق شأنه عظيم فقد مدح الله -عزَّ وجلَّ- نفسه به فقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾[4]، أي؛ لا أحد أصدق من الله في حديثه وخبره ووعده ووعيده جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه لا إله إلا هو ولا معبود بحق إلا هو.

حسن الجوار[5]: حسن الجوار هو أن يحسن الإنسان جوار من جاوره من الناس ومعاملتهم بالإحسان وملاطفتهم وكف طرق الأذى عنهم؛ ومَن لم يحسن جوار جاره لا يحبه الله تعالى ولا رسوله بل هو بغيض عندهما. واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والبلدي والغريب، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرًّا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطي كل حقه بحسب حاله،

---

(١) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٦/١٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٥) العسقلاني: فتح الباري ٥/١٩٨، ١٠/٤٤١-٤٤٦.

وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي. وقيل إن الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم له حق الجوار والإسلام والرحم.

لقد أمر الله -عزَّ وجلَّ- ورسوله ﷺ بالإحسان إلى الجار، قال تعالى: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ** ﴾[1]. فأكد ذكر الجار بعد الوالدين والأقربين، وقال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه**»[2]، وكما جاء الأمر بالإحسان إلى الجار جاء أيضًا النهي عن إيذائه، فقال النبي ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»[3]. وقال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومَن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[4]. البائقة هي الداهية والشر والخصومات والغائلة والشيء المهلك. ففي هذا الحديث تأكيد حق الجار وكف الأذى عنه لقسمه ﷺ على ذلك، وتكريره اليمين ثلاث مرات. وحق الجوار ليس بكف الأذى فقط بل باحتمال الأذى أيضاً.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك. وقد نفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار وأن إضراره من الكبائر. ويفترق الحال في ذلك بالنسبة للجار الصالح وغير الصالح؛ والذي يشمل الجميع إرادة الخير له، وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الإضرار له إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار له بالقول والفعل، والذي يخص الصالح هو جميع ما تقدم، وغير

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الوصاة بالجار.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إثم مَن لا يأمن جاره بوائقه.

الصالح كفه عن الذي يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضًا ويستر عليه زلله عن غيره، وينهاه برفق، فإن أفاد فبه وإلا فيهجره قاصدًا تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف.

وقيل إن من حق الجار على الجار: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وان افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده.

قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»[1]، وقال ﷺ: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة**»[2]، أي؛ لا تحقرن أن تهدي المرأة لجارتها شيئًا ولو حافر شاة لا ينتفع به في الغالب.. وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه، أي؛ لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من العدم.. وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيرًا، وفيه إسقاط التكلف واستحباب التوادد والتحابب، كما في قوله ﷺ: «**تهادوا تحابُّوا**»[3]، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت، فيتساوى في ذلك الغني والفقير، وخص النهي بالنساء؛ لأنهن موارد المودة والبغضاء؛ ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منهما.

وإذا تأكدت هذه الحقوق للجار الإنساني، مع وجود الحائل من الجدران ونحوها التي تحجبه عن نظره فلا يطَّلع عليه، فمن الأولى أن يراعي حق المَلَكين الحافظين

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا تحقرن جارة لجارتها.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٠٤.

اللذيــن ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فهما يطَّلعــان عليه - بألا يؤذيهما بارتكاب المخالفات والمعاصي في ساعات أيامه، فقد جاء أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات، فينبغي مراعاة جانبهما وحفظ خواطرهما بالتكثير من عمل الطاعات والمواظبة على اجتناب المعصية، فهما أولى برعاية الحق من كثير من الجيران.

أما حــد الجوار فقد اختلف فيه: فجاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن ســمع النداء فهو جار» وقيل: «مَن صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار»، وعن عائشة رضي اللــه عنها: «حــد الجوار أربعون دارًا من كل جانب» وقيــل: «أربعون دارًا عن يمينه وعن يساره ومن خلفه ومن بين يديه» وهذا يحتمل كالأولى، ويحتمل أن يريد التوزيع فيكون من كل جانب عشرة.

المؤمن القوي أحب إلى الله

قال رســول الله ﷺ: «**المؤمن القــوي خير وأحب إلى الله مــن المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير**»[1].

المؤمــن القــوي[2]: القوة هي عزيمة النفس والقريحة فــي أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه، وأشــد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى فــي كل ذلك، واحتمال المشــاق فــي ذات الله تعالى، وأرغب فــي الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك.

والقوة هي قوة البدن وإجادة القتال بأنواع الأســلحة المســتخدمة في كل زمان ومكان وهي مما يجب أن يعدها المســلمون أفرادًا وجماعات ودولاً اتباعًا لأمر الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْــتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾[3]؛ وذلك للجهاد في ســبيل الله وإعلاء كلمة الله وقتال أعدائهم وتحرير أراضيهم ونصرة الحق والمظلومين.

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب: الإيمان للقدر والإذعان له.

(٢) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٦٤/١٣، ٢١٥/١٦، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ١٥٤٤/٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

وقد خطب رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[1]. فقد فسرَّ النبي ﷺ القوة بالرمي، وفي الحديث فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك ممارسة الرياضات القتالية واستعمال سائر أنواع السلاح، وكذلك المسابقة بالخيل وغيرها، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب واكتساب الخبرات القتالية ورياضة الأعضاء بذلك.

ففي إعداد القوى النفسية والبدنية إرهاب للأعداء والمنافقين والكافرين والخائنين كما قال الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾؛ ولهذا يجب على المسلمين إعداد هذه القوة دائمًا واستكمالها بأقصى الحدود الممكنة حتى ترهب القوى الباطلة وأعداء الله وتلقي في قلوبهم الرعب فتهاب مهاجمة ديار الإسلام ولا تفكر في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الناس كلهم في الأرض كلها وتقرير ألوهية الله وحده وتحطيم ألوهية العبيد. فالمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وليكون الدين كله لله.

وبالجملة فالله يحب من المؤمن أن يكون قوي النفس والبدن جميعًا حتى يقوى على نشر دينه والجهاد في سبيله وهو أحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وأما قوله ﷺ «**وفي كلٍ خير**» فمعناه في كلٍ من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات.

يحب الله المجاهد

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في فئة فينصُبُ لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه...**»[2].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.

المجاهد: هو الذي يجاهد في سبيل الله فيكر على العدو مهاجمًا ومتصديًا لهم فإما يُقتل أو يفتح لأصحابه الطريق إلى العدو، وهو إنما يفعل ذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]. فهو يتاجر بنفسه فيبيعها ويشتري الجنة، وهي أحب التجارات إلى الله -عزَّ وجلَّ- كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وهو يفعل ذلك لأن الجهاد في سبيل الله من أحب العمل إلى الله، والمجاهد من أفضل الناس، فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**[3].

وهو يفعل ذلك؛ لأنه قد **«تكفَّل الله لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»**[4].

يحب الله قائم الليل

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في فئة فينصُبُ لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه؛ والقوم يسافرون فيطول سُراهم حتى يحبوا أن يمسُّوا الأرض فينزلون؛ فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم...»**[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾.

(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.

قائم الليل: قائم الليل هو المسافر مع قوم حتى إذا تعبوا من السفر الطويل في الليل أحبوا التوقف للراحة والنوم، فينزلون وينامون، أما هو فيتنحى جانبًا ليصلي بدلاً من النوم كما فعل الآخرون، فيبيت لربه سجدًا وقيامًا حتى يطلع الصباح فيوقظ قومه للرحيل.

فهو يقيم الليل مصليًا بدلاً من النوم لأن الله تعالى قال: ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[1]؛ ولأن رسول الله ﷺ قال: «**... وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[2].

وقد مدح الله سبحانه الذين يفعلون ذلك ويواظبون عليه وأثنى عليهم فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾[4]، أي: يتركون النوم والاضطجاع على الفرش ويقيمون الليل بالصلاة والدعاء والاستغفار. وقد أعد الله تعالى لمثل هؤلاء العباد الصالحين «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[5]، فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد؛ قال الله تعالى: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[6].

فهذا تنبيه وإعلام عن عظم قيام الليل وأنه من معالي الأمور التي يجب أن يهتم بها المؤمن. وقائم الليل لا يتساوى مع نائم الليل أو تارك الصلاة في النهار والليل وقد نفى الله - تبارك وتعالى - التسوية بينهما قائلاً: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾[7].

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٦٣٠.

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٨.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

(٦) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٩.

يحب الله الجار الصابر

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في فئة فينصُبُ لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه؛ والقوم يسافرون فيطول سُراهم حتى يحبوا أن يمسُّوا الأرض فينزلون؛ فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرِّق بينهما موت أو ظعن**»(١).

الجار الصابر: الجار الصابر هو الذي يكون له جار يؤذيه فلا يقابل الأذى بالأذى، ولا السيئة بالسيئة بل يصبر على أذى جاره ويحتسب ذلك عند الله؛ لأن من جملة الإحسان إلى الجار تحمل أذاه، ويعمل بوصية النبي ﷺ التي أوصاها لرجل جاء يشكو جاره، فقال له النبي ﷺ: «**اذهب فاصبر**»(٢)؛ ذلك لأنه يريد أن يكون كما قال النبي ﷺ: «**خير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»(٣).

وهو يحب كذلك أن يكون من أهل هذه الآية: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(٤). فهو يكظم غيظه على أذى جاره ويعفو عما يصدر منه من أفعال سيئة تجاهه؛ لأن العفو عن الناس وخصوصًا الجار من أجلِّ ضروب فعل الخير، وصبر الجار على أذى جاره لن يضيع عند الله تعالى بل سيجزيه أحسن الجزاء وبغير حساب، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾(٦).

قال بعض أهل العلم: الصبر على الأذى جهاد النفس، وقد جبل الله الأنفس على التألم بما يفعل بها ويقال لها؛ ولهذا شق على النبي ﷺ نسبتهم له إلى الجور في القسمة، لكنه حلم عن القائل فصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين وأن الله

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.
(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٢٩٢.
(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٨٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤.
(٥) سورة النحل، الآية: ٩٦.
(٦) سورة الزمر، الآية: ١٠.

تعالى يأجره بغير حساب، والصابر أعظم أجرًا من المنفق؛ لأن حسنته مضاعفة إلى سبع مئة، والحسنة في الأصل بعشر أمثالها إلا من شاء الله أن يزيده[1].

يحب الله الزاهد في الدنيا

قال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله**»[2].

الزهد في الدنيا[3]: الزهد في الدنيا هو ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالاً والاقتصار على الكفاية والورع وترك الشبهات. فللزهد في الدنيا حقيقة وأصل وثمرة: أما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا وانزواؤها عنها طوعًا مع القدرة عليه. وأما أصله فهو العلم والنور الذي يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر، ويتضح به أن الآخرة خير وأبقى، وأن نسبة الدنيا إلى الآخرة أقل من نسبة حصى إلى جوهرة. وأما ثمرته فهي القناعة من الدنيا بقدر الضرورة، وهو قَدْر زاد الراكب. فالأصل نور المعرفة، فيثمر حال الانزواء، ويظهر على الجوارح بالكف إلا عن قدر الضرورة في زاد الطريق.

والزهد على درجات: إحداها، أن يزهد ونفسه مائلة إلى الدنيا ولكن يجاهدها وهذا متزهد وليس بزاهد. ولكن بداية الزهد التزهد. الثانية، أن تفر نفسه عن الدنيا ولا تميل إليها، لعلمه أن الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن، فتسمح نفسه بتركها، كما تسمح نفس من يبذل درهمًا ليشتري جوهرة، وإن كان الدرهم محبوبًا عنده وهذا زهد. الثالثة، ألا تميل نفسه إلى الدنيا ولا تنفر عنها، بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة، ويكون المال عنده كالماء، وخزانة الله تعالى كالبحر، فلا يلتفت قلبه إليه رغبة ونفورًا. وهذا هو الأكمل؛ لأن الذي يبغض شيئًا فهو مشغول به كالذي يحبه.

---

(١) فتح الباري ١٠/٥١١-٥١٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٠.

(٣) راجع: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٣/٢١٤، وكتاب الأربعين في أصول الدين ١٥٤، ١٥٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٧/١٩٢-١٩٣، ١٨/٩٣، والفوائد لابن القيم ١٢٢-١٢٤، وفتح الباري للعسقلاني ١١/٢٧٠.

لقد ذم الله تعالى الدنيا وزهَّد فيها في كثير من الآيات، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا والزهد فيها وصرف الخلق عنها وترغيبهم في الآخرة ودعوتهم إليها. قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[2]؛ فهذا من الله - جل وعلا - تزهيد في الدنيا وتقليلها وتحقيرها وترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة التي هي الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقد حث رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث على الزهد في الدنيا؛ لأنها كما قال ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[3]. وقال ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[4]. وزاد في رواية أخرى: «**وعُدَّ نفسك من أهل القبور**»[5]. وكان ﷺ يرغِّب في الآخرة لأنها هي دار المقر وما الدنيا فيها إلا كما قال ﷺ: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع**»[6]، فما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.

وهكذا كانت حياته ﷺ وقد قال ﷺ: «**لو كان لي مثل أُحد ذهبًا؛ ما يسرني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيئًا أرصده لدَين**»[7]. فقد كان النبي ﷺ

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤-١٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب...».

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٠٢.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا».

في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث أنه لا يحب أن يبقى بيده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق، وإما لتعذر من يقبل ذلك منه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»[1]، و«**ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة**»[2].

إن إيثار الدنيا على الآخرة يكون إما من فسادٍ في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدُّوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد.. وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذَّن بالرحيل.

قال عليه الصلاة والسلام: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»[3]؛ فكل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان.

فالزاهد في الدنيا هو الذي علم أن الله -عزَّ وجلَّ- قد أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة، وأن رسول الله ﷺ زهَّد فيها وحذَّر أصحابه من فتنتها. وهو الذي نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف. ونظر في الآخرة وإقباله ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات والتفاوت الذي بينها وبين ما في الدنيا. وإذا كان أغلب الناس لا يتركون

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: الوصايا.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة؛ فالزاهد في الدنيا قد تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل.

فالمؤمن الذي يحبه الله هو الذي لا يركن إلى الدنيا ولا يتخذها وطنًا، ولا يحدِّث نفسه بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا يتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا يشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله ووطنه.

يحب الله قارئ سورة الإخلاص

عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**سَلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[1].

قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه؛ لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده. قال المازري: محبة الله لعباده إرادته ثوابهم وتنعيمهم، وقيل: هي نفس الإثابة والتنعيم. وقال ابن التين: معنى محبة المخلوقين لله إرادتهم أن ينفعهم.

وقال القرطبي في المفهم: محبة الله لعبده تقريبه له وإكرامه وليست بميل ولا غرض كما هي من العبد، وليست محبة العبد لربه نفس الإرادة بل هي شيء زائد عليها، فإن المرء يجد من نفسه أنه يحب ما لا يقدر على اكتسابه ولا على تحصيله، والإرادة هي التي تخصص الفعل ببعض وجوهه الجائزة ويحس من نفسه أنه يحب الموصوفين بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة كالعلماء والفضلاء والكرماء وإن لم يتعلق له بهم إرادة مخصصة، وإذا صح الفرق فالله - سبحانه وتعالى - محبوب لمحبيه على حقيقة المحبة كما هو معروف عند من رزقه الله شيئًا من ذلك، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من محبيه المخلصين[2].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

(٢) العسقلاني: فتح الباري ١٣/٣٥٧-٣٥٨.

يحب الله الكرماء والجودة

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة**»[١].

الكرم والجود والسخاء[٢]: الكرم والجود والسخاء هو بذل ما يُقتنى بغير عوض، وضده البخل الذي هو منع ما يُطلب مما يُقتنى، ولا يقال للرجل كريم حتى يظهر ذلك منه، ولما كان أكرم الأفعال ما يُقصد به أشرف الوجوه، وأشرفها ما يُقصد به وجه الله تعالى، وإنما يحصل ذلك من المتقي - قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٣]. قال رسول الله ﷺ: «**الحسب: المال. والكرم: التقوى**»[٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: مَن أكرم الناس؟ قال: «**أكرمهم أتقاهم**»[٥].

فأكرم الناس من اتقى الله، والكريم: التقي. والكريم لا يكون حقودًا ولا حسودًا، ولا شامتًا، ولا باغيًا، ولا ساهيًا، ولا لاهيًا، ولا فاجرًا، ولا فخورًا، ولا كاذبًا، ولا ملولاً، ولا يقطع إلفه، ولا يؤذي إخوانه، ولا يضيع الحفاظ، ولا يجفو في الوداد، يعطي من لا يرجو، ولا يأمن من لا يخاف، ويعفو عن قدرة، ويصل عن قطيعة.. الكريم يلين إذا استعطف، ويُجل الكرام، ولا يهين اللئام، ولا يؤذي العاقل، ولا يمازح الأحمق، ولا يعاشر الفاجر، مؤثرًا إخوانه على نفسه باذلاً لهم ما ملك، إذا اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق العداوة، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشيء من الأشياء.. إن كرام الناس أسرعهم مودة، وأبطؤهم عداوة. الكريم مَن أعطاه شَكره، ومَن منعه عَذره، ومن قطعه وصله، ومن وصله فضله، ومن سأله أعطاه، ومن لم يسأله ابتدأه، وإذا

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٠٠.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٢٥٩/٣-٢٦١، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ١٣٦-١٣٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٨-٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٢/٤، ومدارج السالكين لابن القيم ٢٧٩/٢-٢٨٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٠٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿أم كنتم شهداء﴾ -إلى قوله- ﴿ونحن له مسلمون﴾.

استضعف أحدًا رحمه، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه.. الكريم يحسن الذكر، ويشرف القدر، محمود الأثر في الدنيا، مرضى العمل في العقبى، يحبه القريب والقاصي، ويألفه المتسخط والراضي، يفارقه الأعداء واللئام، ويصحبه العقلاء والكرام.

والسخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة، وقد «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس**»[1]، وأرفع درجات السخاء الإيثار. فالسخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج، أما الإيثار فهو أن يجود بالمال مع الحاجة، والبذل مع الحاجة أشد. وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنى الله -عزَّ وجلَّ- على الصحابة رضي الله عنهم فقال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[2].

فالإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية. وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة. ومن يفعل ذلك فقد وقى شُحَّ نفسه وأفلح فلاحًا لا خسارة بعده. والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال وإن عاد إلى النفس. ومن الأمثال السائرة:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأفضل الجود بالنفس الجود على حماية الدين وكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والجهاد لجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا. قيل: أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك.

وقيل: إن الجود عشر مراتب: الجود بالنفس، الجود بالرياسة، الجود بالراحة والرفاهية وإجمام النفس، الجود بالعلم وبذله، الجود بالنفع بالجاه، الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، الجود بالعرض، الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء، الجود بالخُلق والبشر والبسطة، الجود بترك ما في أيدي الناس عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: ٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصدقة جهد المقل**»[1]؛ والمقل هو الفقير الصابر على الجوع القليل المال؛ وهذا المقام أعلى من حال ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾[2]، و﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾[3]، فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله[4].

أما الجود فقد قيل إنه عطاء بلا من وإسعاف من غير روية. وقيل: الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل. وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن. وقيل: الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله -عزَّ وجلَّ- فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر. وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئًا فهو صاحب جود، ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شيئًا فهو صاحب بخل. وقيل: الجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض كما قال تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾[6].

وقيل: السخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع كالزكاة والنفقة على الأهل والعيال، ولا واجب المروءة وهو ترك المضايقة في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه، فإن منع واحدًا منها فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل.. فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل. نعم لا يتصف بصفة

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١١١٢.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٠١.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير. ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء، فإن مَن طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد، فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه، والجود هو بذل الشيء من غير عوض. هذه هي الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى، أما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض، ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادًا.

أحب العباد إلى الله النافع لعياله

قال رسول الله ﷺ: «**أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله**»[1].

أنفعهم لعياله: أنفعهم لعياله هو الذي ينفع أهله وأولاده بأن يقيهم النار بتعليمهم الدين وتنشئتهم عليه ومتابعتهم على الالتزام به، ويؤدي إليهم ما عليه من حقوق وواجبات من نفقة وغيرها، قال ﷺ: «**إذا أنفق المسلم نفقة على أهله - وهو يحتسبها - كانت له صدقة**»[2].

وقال ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله**»[3]، وهو أعظم أجرًا من الدينار الذي ينفقه في سبيل الله أو في فك رقبة أو على مسكين لقوله ﷺ: «**أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»[4]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها في فِي امرأتك**»[5].

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل.

(٣) أخرجه مسلم في كتب الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك.

(٤) أخرجه مسلم في كتب الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل.

وهو الذي يدخل السرور إلى قلوب عياله بأنواع من الترفيه المباح، ويحرص على درء المفاسد عنهم، وجلب المصالح لهم.

وأحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله بالهداية إلى الله، والتعليم لما يصلحهم، والعطف عليهم، والترحم والشفقة، والإنفاق عليهم من فضل ما عنده، وغير ذلك من وجوه الإحسان الأخروية والدنيوية. وفيه حث على فضل قضاء حوائج الخلق ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو جاه أو إشارة أو نصح أو دلالة على خير أو إعانة أو شفاعة أو غير ذلك[1].

وفي الحديث رد على من رفض الدنيا بالكلية من النساك وترك الناس وتخفى للعبادة محتجًا بآية ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2]، وخفي عليه أن أعظم عبادة الله ما يكون نفعها عائدًا لمصالح عباده.

أحب العباد إلى الله أعجلهم فطرًا

قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: إن أحبَّ عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا**»[3].

تعجيل الفطر[4]: لقد حث رسول الله ﷺ على تعجيل الفطر للصائم وقال ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»[5]، ومن أعظم هذا الخير أن الصائم الذي يعجل الفطر يكون من أحب عباد الله إلى الله، ففي تعجيله الفطر بعد تحقق غروب الشمس علامة على محافظته على هذه السُنَّة، وابتعاده عن البدعة، والمخالفة لأهل الكتاب. وهذه السنة أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة.

---

(١) المناوي: فيض القدير ٣/٥٠٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٧٢٤٠، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٧/٢٠٨، وفتح الباري للعسقلاني ٤/١٩٩، وعون المعبود للعظيم آبادي ٦/٣٤٣-٣٤٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب: تعجيل الإفطار.

ولا يزال أمر الأمة الإسلامية منتظمًا وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، واقفين عند حدها غير متنطعين بعقولهم ما يغير قواعدها، وإذا أخروا الفطر كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه.

ثم إن تعجيل الفطر وعدم تأخيره فيه ظهور الدين ومخالفة اليهود والنصارى الذين كانوا يؤخرون الفطر، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهرًا، ما عجَّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[1]، وظهور الدين مستلزم لدوام الخير، ودوام الخير بتعجيل الفطر. فلا يزال الدين غالبًا وعاليًا أو واضحًا ولائحًا ما عجَّل الناس الفطر وخالفوا اليهود والنصارى الذين يؤخرونه؛ قال الطيبي: في هذا التعليل دليل على أن قوام الدين الحنيفي على مخالفة الأعداء من أهل الكتاب وأن في موافقتهم تلفًا للدين.

يحب الله العبد التقي الغني الخفي

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[2].

التقي: التقي هو الذي يؤمن بالغيب، ويقيم الصلاة، وينفق مما رزقه الله، ويؤمن بما أُنزل إلى محمد ﷺ وما أُنزل من قبله، ويوقن بالآخرة، ويوفي بعهده، ويتقي محارم الله، ويطيع الله ويتبع شريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم.

الغني[3]: المراد بالغنى غنى النفس، هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: «**ولكن الغنى غنى النفس**»[4]، قال ابن بطال: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضى ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب،

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٠٦٣.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.
(٣) راجع فتح الباري للعسقلاني ١١/٢٧٢-٢٧٣.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: الغنى غنى النفس.

فكأنه غني. وقال القرطبي: معنى الحديث إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشـــرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل.

والحاصـــل أن المتصف بغنى النفس يكـــون قانعًا بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يلحف في الســـؤال، بل يرضى بما قســـم اللـــه له، فكأنه واجد أبدًا، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطـــي بل هو أبدًا فـــي طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأســـف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني. ثم غنى النفس إنما ينشـــأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره علمًا بأن الذي عند اللـــه خيـــر وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب. وقـــال الطيبي: يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية، وإلى ذلك أشار القائل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

أي ينبغـــي أن ينفق أوقاته في الغنى الحقيقي وهـــو تحصيل الكمالات، لا في جمع المال فإنه لا يزداد بذلك إلا فقرًا. قال ابن حجر: وهذا وإن كان يمكن أن يراد لكـــن الذي تقدم أظهر في المراد، وإنمـــا يحصل غنى النفس بغنى القلب بأن يفتقر إلـــى ربه في جميع أموره فيتحقق أنه المعطي المانع فيرضى بقضائه ويشـــكره على نعمائه ويفزع إليه في كشـــف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى، والغنى الوارد في قوله تعالى: ﴿ **وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى** ﴾[1]. يتنزل على غنى النفس، فإن الآية مكية ولا يخفى ما كان فيه النبي ﷺ قبل أن تفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال والله أعلم.

(١) سورة الضحى، الآية: ٨.

الخفي: الخفي هو الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه، قال رسول الله ﷺ: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه**»[1]، الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل، ومدفوع بالأبواب أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له، لو أقسم على الله لأبرَّه أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل معنى القسم هنا: الدعاء، وإبراره: إجابته[2].

إن الله يحب التقي الخفي الذي إن غاب لم يفتقد وإن حضر لم يعرف، لا يتظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، ولا يطلب الجاه في قلوب الخلق، يقنع باطلاع الخالق على طاعته دون اطلاع الخلق، ويقنع بحمد الله وحده دون حمد الناس، يكره الشهرة ويفضل خمول الذكر.

يحب الله الحييَّ العفيف المتعفف

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى... يحب الحييَّ العفيف المتعفف**»[3].

الحيي العفيف المتعفف: الحيي العفيف المتعفف هو الفقير المنكف عن الحرام الذي لا مال له ومع ذلك يتعفف ولا يُظهر الشكوى والفقر، ويتوكل على الله ويسأله الرزق، ويستحي أن يسأل الناس أن يتصدقوا عليه من أموالهم حتى أن الناس الذين يجهلون حقيقة أمره وحاله يظنونه غنيًا من التعفف والتنزه عن المسألة، كما قال الله تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾[4].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء والخاملين.

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ١٦/١٧٤- ١٧٥.

(٣) صحيح الجامع الصغير: رقم: ١٧١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

قال النبي ﷺ: «**ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرؤوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافًا**»(١). وفي رواية: «**ولكن المسكين الذي ليس له غنىً ويستحي، أو لا يسأل الناس إلحافًا**»(٢)، وفي رواية: «**ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يغنيه، ولا يُفطن به فيُتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس**»(٣).

يحب الله لقاء مَن يحب لقاءه

قال رسول الله ﷺ: «**مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»(٤).

حب لقاء الله: فسَّرَ رسول الله ﷺ مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه عندما سألته عائشة رضي الله عنها فقالت: يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، فقال ﷺ: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه**»(٥).

وجاء شريح بن هانئ إلى عائشة -رضي الله عنها- فقال: يا أم المؤمنين! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك مَن هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه**». وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

واللقـــاء يقع على أوجه: منها المعاينة، ومنها البعث كقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَـاءِ اللَّهِ** ﴾[1]، ومنها الموت كقوله: ﴿ **مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ** ﴾[2]، وقوله: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ** ﴾[3]. قيل: المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت؛ لأن كلاً يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها فلا يحب استمرار الإقامة فيها بل يستعد للارتحال عنها أحب لقاء الله[4].

والكراهة المعتبرة هـــي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشـــر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم، ويجزل لهم العطاء والكرامة[5].

يحب الله مَن يحب في الله

عـــن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجتـه مَلَـكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريـد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عزَّ وجلَّ. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[6]. معنى أرصده أي أقعده يرقبه، والمدرجة هي الطريق ســـميت بذلك؛ لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشـــون. وهل لك عليه من نعمة تَرُبُّها، أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

الحب في الله[7]: في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب

---

(١) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٤) العسقلاني: فتح الباري ١١/٣٥٩-٣٦٠.

(٥) النووي: شرح صحيح مسلم ١٧/١٠.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الحب في الله تعالى.

(٧) راجع: الروح لابن القيم ٣٤١-٣٤٣، وكتاب الأربعين في أصول الدين للغزالي ٦٤.

الله تعالى العبد، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أُظِلُّهُم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي**»(١).

وقال ﷺ: «**قال الله تعالى: حُقَّت محبتي للمتحابين فيَّ، وحُقَّت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحُقَّت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحُقَّت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحُقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ. المتحابون فيَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**»(٢).

إن كل حب لا يتصور دون الإيمان بالله واليوم الآخر، فهو حب في الله، ولكنه على درجتين: إحداهما؛ أن تحبه لتنال منه في الدنيا نصيبًا يوصلك إلى الآخرة، كحبك أستاذك وشيخك، بل تلميذك الذي ينمو علمك بتعليمه.. الثانية، وهي أعلى، أن تحبه لأنه محبوب عند الله -عزَّ وجلَّ- ويحب الله تعالى، وإن لم يتعلق غرض به لك في الدنيا والآخرة، من علم أو معونة على دين أو غيره، وهذا أكمل.. ومن أحب لقاء الله لم يمكنه ألا يحب عباده الصالحين المرضيين عنهم، إلا أن ذلك قد يقوى حتى يحمل على أن يسلك بهم مسلك نفسه، بل يؤثرهم على نفسه.

فالحب في الله هو من كمال الإيمان، والمحب في الله تابع لمحبة الله فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه الله، فإذا أحب ما أحبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسله وأنبياءه وملائكته وأولياءه لكونه تعالى يحبهم، ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم، وعلامة هذا الحب والبغض في الله أنه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حبًا لإحسانه إليه وخدمته له وقضاء حوائجه، ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضًا إذا وصل إليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه إما خطأ وإما عمدًا مطيعًا لله فيه أو متأولاً أو مجتهدًا أو باغيًا نازعًا تائبًا، والدين كله يدور على أربع قواعد: حبٍ وبغضٍ ويترتب عليهما فعل وترك؛ فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الإيمان بحيث إذا أحب أحب لله، وإذا

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الحب في الله تعالى.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٣٢١.

أبغض أبغض لله، وإذا فعل فعل لله، وإذا ترك ترك لله، وما نقص من أصنافه هذه الأربعة نقص من إيمانه ودينه بحسبه..

والمحب في الله عليه حقوق كثيرة لمن يحبه في الله تعالى، ومن هذه الحقوق: أن يخبره بأنه يحبه في الله -عزَّ وجلَّ-، وأن يبذل له نفسه وماله في مهماته في جميع حالاته، ويعينه في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة، ولا يكلفه ما يشق عليه، ولا يتكلف له، ويسكت عن ذكر عيوبه ولا يماريه ولا يناقشه ولا يسيء الظن به، ولا يهجره فوق ثلاثة أيام، ولا يفشي سره، ويدعوه بأحب أسمائه إليه، ويثني عليه بما يعرف من محاسن أحواله، وينصره ظالمًا أو مظلومًا، ويعلمه وينصح له ويرشده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا، ويستره ويعفو عن زلاته وهفواته، ولا يقطعه ولا يهجره، ويعوده إذا مرض، ويقف بجانبه عند المصيبة وحوادث الزمان، ويقبل عذره، ويثبت على حبه، ويفي ويخلص له، ويدعو له في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه وأهله.

أما محبة ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء، فهذه المحبة ثلاثة أنواع: فإن أحبها لله توصلاً بها إليه واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه ويلتذ بالتمتع بها، وهذا حاله أكمل الخلق ﷺ الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونًا له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره. وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه. وإن كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدَّمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالمًا لنفسه متبعًا لهواه.

فالأولى: محبة السابقين.

والثانية: محبة المقتصدين.

والثالثة: محبة الظالمين.

يحب الله علي بن أبي طالب

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: «**فأرسلوا إليه**». فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[1].

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي الهاشمي، أبو الحسن والحسين، ابن عم رسول الله ﷺ. وُلد قبل البعثة بعشر سنين، وكان قد رباه النبي ﷺ من صغره، وزوَّجه ابنته فاطمة الزهراء، ولازم رسول الله ﷺ من صغره فلم يفارقه إلى أن مات وهو عنه راض. وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، ورابع الخلفاء الراشدين، بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

لقد كان علي بن أبي طالب أول ذكر من الغلمان آمن برسول الله ﷺ وصلَّى معه وصدَّق بما جاءه من الله تعالى وهو يومئذ ابن عشر سنين، وقيل غير ذلك. وكان مما أنعم الله به على علي رضي الله عنه أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أمر عليًّا أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس. وأقام علي رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدَّى عن رسول الله ﷺ الودائع، حتى إذا فرغ منها، لحق برسول الله ﷺ إلى المدينة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر.

شـــهد علي وقعة بدر وكانت له اليد البيضاء فيها، وشهد غزوة أحد وقاتل قتالاً شديدًا، وقتل خلقًا كثيرًا من المشركين. وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شـــجعانهم المشاهير، عمرو العامري. وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبر وكانت له بها مواقف هائلة، ومشـــاهد طائلة، ومنها أن رســـول الله ﷺ قال: «**لأعطـين هـذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسـوله ويحبه الله ورسـوله**»، ومنها أنه قتل مرحبا فارس يهود وشـــجعانهم. وشهد عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ: «**أنت مني، وأنا منك**»[١]. وشـــهد الفتح وحنينًا والطائف، وقاتل في هذه المشـــاهد قتالاً كثيرًا، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ. ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك استخلفه على المدينة، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ فقال ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[٢].

وقد ســـمَّاه النبي ﷺ أبا تراب حين جاءه إلى المســـجد فوجده نائمًا وقد لصق التـــراب بظهره فجعل يمســـح التراب عن ظهره فيقول ﷺ: «**اجلس يـا أبا تراب**»[٣]. وما كان له اســـم أحب إلى علي منه. وقال رســـول الله ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مـولاه**»[٤]، وقال علي: لقـــد عهد إليَّ النبي الأمي ﷺ «**أنه لا يحبـك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق**»[٥].

بعثه رســـول الله ﷺ أميرًا وحاكمًا على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، إلى مكة، وساق معه هديًا، وأهلَّ كإهلال النبي ﷺ، فأشركه في هديه، واستمر على إحرامه، ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما.

ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس: سل رسول الله ﷺ فيمن الأمر بعده؟ فقال: والله لا أســـأله فإنـــه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعـــده أبدًا، والأحاديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٣٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٣٨.

الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوَّح بذكر الصِّدِّيق، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جدًا إليه. وأما الافتراء بأنه ﷺ أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير، من تخوين الصحابة ومما لأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة.

ولما مات رسول الله ﷺ كان علي من جملة من غسله وكفنه وولي دفنه. ولما بويع الصِّدِّيق يوم السقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسجد. وكان علي بين يدي الصِّدِّيق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضًا عليه، وأحب الأشياء إليه، ولما توفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر جدَّد علي البيعة مع الصِّدِّيق رضي الله عنهما، فلما توفي الصِّدِّيق وقام عمر في الخلافة بوصية الصِّدِّيق إليه بذلك، كان علي من جملة من بايعه، وكان معه يشاوره في الأمور، فلما طُعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي، ثم خلص منهم بعثمان وعلي، فقُدِّم عثمان على علي، فسمع وأطاع، فلما قُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور، عدل الناس إلى علي فبايعوه، وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له وفرَّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه، وجاؤُوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب.

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تنغصت عليه الأمور، وخرجت عليه الخوارج فقاتلهم، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، هذا وأميرهم علي رضي الله عنه خير أهل الأرض في ذلك الزمان، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله -عزَّ وجلَّ-، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه. وفي فجر أحد الأيام دخل علي المسجد وجعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة

فضربه عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري بالسيف على رأسه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه، وحمل إلى منزله. ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله، لا يتلفظ بغيرها. وقبض علي رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة، وقيل غير ذلك، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر. وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلَّى عليه الحسن ودفن بالكوفة، وعمي موضع قبره خوفًا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته.

يحب الله مَن يحب الحسن والحسين

قال رسول الله ﷺ: «**هذانِ ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أُحبُّهُما فأَحِبَّهُما وأَحِبَّ من يُحِبُّهُما**»[1]، قال رسول الله ﷺ: «**حُسَيْن مني وأنا من حُسَيْن، أحب الله من أحب حُسينًا، حسين سِبْط من الأسباط**»[2].

الحسن والحسين: هما ابنا فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر، وقيل بعد ذلك. و«**لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي**»[3]، وقد قال عنه رسول الله ﷺ: «**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[4].

وقد سلَّم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب... وفي هذا الحديث منقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[5]. وكان مولد الحسين رضي الله عنه في شعبان سنة أربع في قول الأكثر.

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٦٦.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٧٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٥) العسقلاني: فتح الباري ١٣/٦٣، ٦٦.

وقد اشترك الحسن والحسين رضي الله عنهما في كثير من المناقب، وقال عنهما النبي ﷺ: «**هما رَيحانتايَ من الدنيا**»[1]، و«**الحَسَنُ والحُسَيْنُ، سيِّدا شباب أهل الجنة**»[2].

يحب الله من يحب الأنصار

قال رسول الله ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، فمن أحبهم أحبه الله**»[3].

الأنصار[4]: الأنصار هم أنصار رسول الله ﷺ، وهم الأوس والخزرج، وكانوا قبل ذلك يُعرفون ببني قَيلة وهي الأم التي تجمع القبيلتين، فسماهم رسول الله ﷺ «الأنصار» فصار ذلك علمًا عليهم، وأطلق أيضًا على أولادهم وحلفائهم ومواليهم. وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم.

وقد مدحهم الله -عزَّ وجلَّ- وأثنى عليهم في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[5]. أي: أن الأنصار يحبون المهاجرين ولا يحسدونهم على ما أوتوا، ويؤثرونهم على أنفسهم فيقدمون لهم الأموال والمنازل مع احتياجهم إليها؛ ولهذا جاء الترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان، كما في قوله ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار**»[6]، تنويهًا بعظيم فضلهم، وتنبيهًا على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركًا لهم في الفضل المذكور كل بقسطه. وفي الحديث الصحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار من الإيمان.

(٤) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٦٣/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ٦٤/٢.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار.

«والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمَة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[1]، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة، لتحقق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن الغناء في الدين.

فمن عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام، وحبهم النبي ﷺ، وحبه إياهم، ثم أحبهم لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2].

يحب الله المتصدق بالسر[3]

قال رسول الله ﷺ: **«أما الثلاثة الذين يحبهم الله عزَّ وجلَّ: فرجل أتى قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم فمنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرًا لا يعلم بعطيته إلا الله، والذي أعطاه..»**[4].

لقد أمر الله تعالى بالتصدق على الفقراء وجعل إخفاء الصدقة خير للمتصدق من إعلانها، وأي خير أفضل من أن يحبه الله لأجل تصدقه بالسر؟ قال تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[5]. فإخفاء صدقة التطوع أفضل من الإظهار لانتفاء الرياء عنها فلا يعلم بها إلا الله تعالى ثم المتصدق، وهذا أقرب إلى الإخلاص وأدل على أنه يراد الله -عزَّ وجلَّ- بها وحده.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: حب علي رضي الله تعالى عنه من الإيمان.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٥/٣، سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب: ٢٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٢٢/٧.

(٤) مسند أحمد، رقم: ٢١٢٥٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.

وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات، قال النبي ﷺ: «**أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة**»[1]؛ وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عُرضة لذلك. قال ﷺ: «**الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة**»[2]، أي؛ أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية. وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب؛ لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه في العلانية.

وأما حال الناس فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم، من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء وعلى الآخذ لها بالاستغناء، إلا إذا كانت هناك مناسبة يكون في إظهار الصدقة فيها تحريك قلوب الناس إلى الصدقة، ويكون للمعطي فيها فائدة إظهار السنة وثواب القدوة، وهذا لمن قويت حاله وحسنت نيته وأمِن على نفسه الرياء، وأما من ضعف عن هذه المرتبة فالسر له أفضل. وقد سئل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: «**سر إلى فقير، وجهد من مقل**»[3].

وقد أثنى الله تعالى على شدة المتصدق بالسر فقال النبي ﷺ: «**لما خلق الله عزَّ وجلَّ الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم ، الريح، قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: صلاة الليل.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٣٣١.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٢١٨٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٢١٩٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

ثم إن المتصدق بالسر من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله حيث يقول النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[1]، وفي هذا الحديث فضل صدقة السر، وذكر اليمين والشمال مبالغة في الإخفاء والاستتار بالصدقة، وضرب المثل بهما لقرب اليمين من الشمال وملازمتها لها، ومعناه لو قدرت الشمال رجلاً متيقظًا لما علم صدقة اليمين لمبالغته في الإخفاء.

يحب الله الرجل السَمْحَ

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب سَمْحَ البيع، سَمْحَ الشراء، سَمْحَ القضاء**»[2].

السماحة[3]: السماحة هي السهولة والجودة وسمحًا، أي؛ سهلاً جوادًا، والسماحة من الإيمان، قال ﷺ: «**الإيمان: الصبر والسماحة**»[4]، وسمح البيع والشراء هو الذي يكون سهلاً جوادًا إذا باع وإذا اشترى، ويتجاوز عن بعض حقه إذا باع.

وسمح القضاء هو الذي يطلب حقه بسهولة ورفق ولين جانب وعدم إلحاح أو إضرار، وإذا طلب دينًا له على غريم يطلبه بالرفق واللطف لا بالخرق والعنف، أو يعطي الذي عليه بسهولة بغير مماطلة أو تسويف. فالسَمْح هو الذي يتعامل مع الناس بسماحة وسهولة ويستعمل معالي الأخلاق، ويترك الخلاف، ولا يضيِّق على الناس في المطالبة، ويأخذ العفو منهم.

لقد رتب المحبة عليه ليدل على أن السهولة والتسامح في التعامل سبب لاستحقاق المحبة ولكونه أهلاً للرحمة. وفيه فضل المسامحة في الاقتضاء وعدم احتقار شيء من أعمال الخير فلعلها تكون سببًا لمحبة الله تعالى التي هي سبب للسعادة الأبدية.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب: الصدقة باليمين.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٠٦٤.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٣٠٧/٤، وفيض القدير للمناوي ١٧٥/١، ٢٩٤/٢.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٧٩٥.

وإنما يحب الله الرجل السمح لشرف نفسه وحسن خلقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال الذي هو معنى الدنيا وإفضاله على عباد الله ونفعه لهم؛ فلذلك استوجب محبة الله تعالى.

يحب الله قائل: آمين

قال رسول الله ﷺ: «**إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[1] فقولوا: آمين يحبكم الله**»[2].

آمين: معناها: اللهم استجب لنا، وُضِع موضع الدعاء. وقيل معنى آمين: كذلك فليكن، وعن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ ما معنى آمين؟ قال: (رب افعل). وقال مقاتل: هو قوة للدعاء واستنزال للبركة. وقال الترمذي: معناه لا تخيب رجاءنا. وفي آمين لغتان: المد على وزن فاعيل كياسين. والقصر على وزن يمين. والمد أفصح وأشهر، والميم خفيفة فيهما.

وهذا التأمين مستحب لكل قارئ، سواء كان في الصلاة أم خارجًا منها... ويستحب التأمين في الصلاة للإمام والمأموم والمنفرد، ويجهر به الإمام والمنفرد في الصلاة الجهرية، والصحيح أيضًا أن المأموم يجهر به، سواء كان الجمع قليلاً أو كثيرًا. ويستحب أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام، لا قبله ولا بعده، وليس في الصلاة موضع يستحب أن يقترن فيه قول المأموم بقول الإمام إلا في قوله: آمين، وأما باقي الأقوال فيتأخر قول المأموم[3].

لقد كان رسول الله ﷺ إذا قرأ ﴿**وَلا الضَّالِّينَ**﴾ قال: (**آمين**) ورفع بها صوته[4]، وأمر ﷺ المسلمين أن يقولوا (آمين) كلما قالها الإمام، فقال ﷺ: «**إذَا أمَّن الإمامُ فأمِّنوا، فإنه مَن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»[5]، وقال ﷺ:

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٨٥٨.

(٣) الأذكار للنووي: باب ما يقوله إذا دخل في الصلاة، باب القراءة بعد التعوذ.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٨٢٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين.

«**إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين، وقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[١]؛ وهذا حث عظيم على التأمين، وبيان لعظيم أجره وفضله، فهو قول يسير لا كلفة فيه، وترتبت عليه مغفرة الرب الرحيم.

وكان صحابة رسول الله ﷺ يرددونها بصوت مرتفع يرج بها المسجد. قال عطاء: «**آمين دعاء. أمَّن ابن الزبير ومن وراءه، حتى إن للمسجد للجَّة**»[٢]. واللجة: الصوت المرتفع. وكان أبو هريرة ينادي الإمام: لا تفتني بآمين. أي؛ لا تدعني يفوتني قولها. وقال نافع: كان ابن عمر لا يدعه، ويحضهم، وسمعت منه في ذلك خيرًا. أي؛ لا يترك التأمين عقب الفاتحة، ويحثهم على قوله، وسمعوا منه وعدًا بالخير على فعله.

قال رسول الله ﷺ: «**ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[٣].

يرضى الله عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾[٤].

الذين آمنوا وعملوا الصالحات: الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير الخليقة الذين يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والبعث والنشور، والميزان، والجنة والنار. إيمان يقرُّ في قلوبهم وتنطق به ألسنتهم ويصدقه العمل بأبدانهم؛ فيشهدوا أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا شهر رمضان، ويحجُّوا بيت الله الحرام إن استطاعوا إليه سبيلاً.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين، تعليقًا.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٦٩٧.

(٤) سورة البيِّنة، الآيتان: ٧-٨.

وهم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1]، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[2]، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾[3]، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾[4]؛ الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تُليت عليهم آياتُهُ زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون، وإذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًّا وعميانًا، ويخشعون في صلاتهم ويبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ويعرضون عن اللغو وإذا مروا به مروا كرامًا، ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ويحفظون فروجهم فلا يزنون، ويراعون أماناتهم وعهدهم، ولا يشهدون الزور، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات.

هؤلاء هم المؤمنون حقًا؛ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[5]، جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات خالدين فيها أبدًا، ويرضى الله عنهم وهو مقام أعلى مما يؤتون من النعيم المقيم، وهذا الجزاء لا يكون إلا لمن خشي الله - تبارك وتعالى - واتقاه حق تقواه وعبده كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6].

يرضى الله عن الذين يتبعون المهاجرين والأنصار بإحسان

قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٥) سورة مريم، الآية: ٩٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

التابعون للمهاجرين والأنصار[1]: لقد رضي الله تعالى عن المهاجرين والأنصار وهم السلف الصالح لأمة الإسلام وأفضل من اقتدى برسول الله ﷺ، ويرضى الله سبحانه عن كل من يأتي بعدهم ويتَّبع بإحسان طريقتهم ونهجهم وآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة وهذا مستمر إلى أن يأذن الله لهذه الدنيا بالزوال وقيام الساعة. والتابعون هم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2]. أي: هم المؤمنون الذين يدعون للمهاجرين والأنصار ولا يبغضون أحدًا منهم ولا يسبونه.

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوَّؤوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم. فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل. وقال بعضهم: كن شمسًا، فإن لم تستطع فكن قمرًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا مضيئًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا صغيرًا، ومن جهة النور لا تنقطع. ومعنى هذا: كن مهاجريًا. فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريًا. فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله. وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت منزلة؛ فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه، أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ** ﴾[3]. قال: لا! قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم قال الله فيهم: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ** ﴾[4]. قال: لا! قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام! وهي قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ** ﴾[5].

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٢١-٢٢.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) سورة الحشر، الآية: ١٠.

يرضى الله عن الذين لا يتخذون عدو الله وعدوهم أولياء

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[1].

الذين لا يوالون الكفار[2]: هم المؤمنون الذين لا يوالون الكفار والمشركين الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين؛ لأن الله شرع عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يُتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء؛ ولأن الله قد كشف بأنهم: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[3]، أي: لو ظفروا بالمؤمنين وتمكنوا منهم لما اتقوا فيهم من أذى ينالونهم به بالمقال والفعال، ويحرصون على ألا ينال المؤمنون خيرًا، فعداوتهم كامنة وظاهرة. قال الله تعالى عنهم: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[4]. بل إن الله تعالى حذَّر عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب وأعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، فقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾[5].

وهم المؤمنون الذين لا يتجسسون على المسلمين لصالح أعدائهم، ولا ينبِّهوا عليهم، ولا يعرِّفوا عدوهم بأخبارهم.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٥٨، ٢/٧١، ٧٥، ٤٧٨، ٤/٣٧١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٣٨، ٤/١١٥، ٩/٧٢.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

وهم المؤمنون الذين يطيعون الله فيما أمرهم به بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾[1]، فهم لا يتخذونهم أولياء حتى لا يصيروا منهم بمخالفتهم الله تعالى ورسوله كما خالفوا. ويتجنبون أن يكونوا من الذين في قلوبهم شك وريب ونفاق فيبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر.

وهم المؤمنون الذين يجتنبون ملاطفة الكفار واتخاذهم أولياء؛ لأنهم يعلمون أن من يفعل ذلك فقد برئ من الله وهو ليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء كما قال تعالى: ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾[2].

وهم المؤمنون الذين يطيعون أمر الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[3]. فهم لا يتخذون من الكفار والمنافقين وأهل الأهواء دُخَلاء ووُلَجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم، ويصادقونهم ويخاللونهم، ويطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم؛ لأن الكفار وأهل الأهواء لا يتركون الجهد في فسادهم، وإن لم يقاتلونهم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة، وقد ظهرت عداوتهم وبغضهم وتكذيبهم لهم من أفواههم وما يبطنون من البغضاء للإسلام وأهله أكثر مما يُظهرون بأفواههم. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري الذي اتخذ كاتبًا من الكفار: لا تُدنِهم وقد أقصاهم الله، ولا تُكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تَأْمَنهم وقد خونهم الله. وقال رضي الله عنه: لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرَّشا، واستعينوا على أموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

وهم المؤمنون الذين يستجيبون لأمر الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ** ﴾[1]. فهم لا يوالون أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوًا يستهزئون بها، ولعبًا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد، وكذلك بالنسبة للصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب إذا نودي لها بالأذان اتخذوها أيضًا هزوًا ولعبًا؛ لأنهم قوم لا يعقلون معاني عبادة الله وشرائعه، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين**»[2].

وهم المؤمنون الذين يخافون وعيد الله فلا يركنون إلى الذين ظلموا حتى لا تمسهم النار كما توعد بذلك رب العالمين: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾[3]، والركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به، وقيل: معناه لا تودّوهم ولا تطيعوهم، ولا تميلوا إليهم، ولا ترضوا أعمالهم، ولا تداهنوهم بألا تنكروا عليهم كفرهم. ولذلك فهم يهجرون أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، ولا يداهنون أهل الكفر والشرك الظالمين، ولا يميلون إليهم، ولا يستعينون بهم فيكونوا كأنهم قد رضوا بأعمالهم فتمسهم النار وتحرقهم وما لهم من دون الله من ولي ينقذهم، ولا ناصر يخلصهم من عذابه. ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٧-٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل التأذين.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

يرضى الله عن المنفقين أموالهم طلبًا لرضاه

قال الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[1].

المنفقون أموالهم طلبًا لرضى الله[2]: المنفقون أموالهم طلبًا لرضى الله هم المؤمنون الذين تزكو صدقاتهم إذ كانت على وفق الشرع ووجهه. ويتثبتون أين يضعون صدقاتهم؛ تثبيتًا من أنفسهم لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله -عزَّ وجلَّ؛ وأنفسهم موقنة بوعد الله على تثبيتهم في ذلك، ويقرون بأن الله تعالى يُثبت عليها، أي؛ وتثبيتًا من أنفسهم لثوابها، فهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، بخلاف المنافق الذي لا يحتسب الثواب.

وهؤلاء إذا كانوا من ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]؛ إذا كانوا لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منًّا على من أعطوه، فلا يمنون به على أحد ولا يمنون به لا بقول ولا بفعل، ولا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحيطون به ما سلف من الإحسان؛ فهؤلاء ثوابهم على الله لا على أحد سواه ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها، لا يأسفون عليها؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك.

وإلا فإن الصدقة تبطل بما يتبعها من المنِّ والأذى، فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المنِّ والأذى، تبطل هذه الصدقة كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٤/٣-٢٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٥/١-٣٢٦، وفتح الباري للعسقلاني ٢٧٩/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.

الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، وهذا ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾[1]. فهو كالصخر الأملس عليه تراب فأصابه مطر شديد فتركه صلدًا أملسًا يابسًا لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب فهم لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي الكافرين.

أما المنفقون أموالهم طلبًا لمرضات الله تعالى وليرضى الله عنهم، فإن الله يُرَبِّي صدقاتهم كتربية الفُلُو والفصيل، وتنمو نفقاتهم كما ينمو نبات الجنة بالربوة؛ وهم ﴿ **كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾[2] فهم كالبستان بمكان مرتفع من الأرض وتجري فيه الأنهار، وأصاب هذه الجنة مطر شديد فآتت ثمرتها ضعفين بالنسبة إلى غيرها من الجنان، فإن لم يصبها مطر شديد فرذاذ وهو اللين من المطر، فهذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدًا؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيًا ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدًا بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه، والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء. وقد قال الله تعالى: ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبه كما يربِّي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل**»[4]. (فلوَّه) هو المهر؛ لأنه يفلى، أي؛ يفطم، وقيل هو كل فطيم من ذات حافر.

وضرب بالمهر المثل؛ لأنه يزيد زيادة بينة؛ ولأن الصدقة نتاج العمل وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيمًا، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب.

وكذلك عمل ابن آدم -لا سيما الصدقة- فإن العبد إذا تصدق صدقة ولو بقيمة تمرة من كسب طيب فإن الله يتقبلها بيمينه ويربِّيها لصاحبها حتى تصبح مثل الجبل.

يرضى الله عن الذين لا يوادُّون من حادَّ الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

حزب الله المفلحون: حزب الله المفلحون هم الذين يقدمون رابطة الدين على رابطة الدم، وقرابة التقوى على قرابة الأبدان، يحبون في الله ويبغضون في الله، ويترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون مَن يوالي الله ويعادون مَن يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون، لا يتعاملون مع الآخرين على أساس مسميات ما أنزل الله بها من سلطان مثل القرابة أو العشيرة أو الجنسية أو غير ذلك، بل إن هذه الأمور دعاوى جاهلية وهي منتنة وقبيحة وكريهة وخبيثة ومؤذية ويكرهها الله ورسوله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»[2]، فهم يتعاملون مع الآخرين على أساس ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[3]، فالقرابة الحقيقية عندهم هي قرابة الدين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[4]، وقد علموا أنه في الآخرة ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[5]، فهم

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

أخلاء وأحباب وإخوان في الدنيا وكذلك هم في الآخرة، أما خلة القرابة أو الصداقة أو غيرها إذا لم تكن لله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة وندم ﴿ **يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً** ﴾[1].

فالود هو لأهل الدين والتقوى وهي القرابة التي يجب أن تتقدم على غيرها بما فيهـا قرابة الدم من آباء أو أبناء أو إخوان أو عشـيرة أو غير ذلك، فرب أخ مؤمن لم تلده أمك هو خير من أخ لك من أبيك وأمك ولكنه غير مسلم أو ضال أو فاسق أو تـارك للصلاة، وإذا كان الود لا يجوز لمثل هـذه القرابات إذا كانوا ممن يحادُّون الله ورسـوله، ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾[2] - فمَن دونهم من الناس أولى بعدم الـود والموالاة مثل أهل البدع والأهواء وأهل الظلم والعدوان، وخاصة غير المسلمين ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ** ﴾[3].

فهـؤلاء هم حـزب الله، أي؛ عباد اللـه وأهل كرامته وهم المفلحون السـعداء المنصـورون في الدنيا والآخرة؛ وإلا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْـتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُـم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[4]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[5].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥١.

يرضى الله عن الآمر بالصدقة والمعروف والإصلاح[1]

قال الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

الآمر بالصدقة: الآمر بالصدقة هو الإنسان الذي يجتمع بغيره فيتناجى معه على فعل الخير والتصدق على فلان من الناس لأنه محتاج وذلك في خفية عن الأعين. فهذا من النجوى التي فيها الخير ويحبها الله بشرط أن يكون الباعث على ذلك طلب رضى الله وابتغاء الأجر، ولا يكون لهوى في النفس أو ليقال عنه إنه فاعل خير يحض على الصدقة ويأمر بها.

الآمر بالمعروف: المعروف هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير. والآمر بالمعروف هو الذي يحض على فعل المعروف ويناجي غيره بذلك، وهو من النجوى التي يحبها الله ويثيب عليها إذا كان ذلك ابتغاء مرضات الله.

وينبغي لمن يقدر على إسداء المعروف أن يعجله حتى لا يفوته أو يعجز عنه؛ فمن المصيبة أن تقدر على المعروف فلا تصطنعه حتى يفوت، ومن أخَّر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها. وقال العباس رضي الله عنه: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظَّمته، وإذا سترته أتممته. ومن شرط المعروف ترك الامتنان به، وترك الإعجاب بفعله، لما فيهما من إسقاط الشكر وإحباط الأجر.

الآمر بالإصلاح بين الناس: وهو عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين. قال العسقلاني: «والصلح أقسام: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح بين الفئة الباغية والعادلة،

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٤٦-٢٤٧، وفتح الباري للعسقلاني ٥/٢٩٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

والصلـــح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة إما في الأملاك أو في المشتركات كالشوارع».

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة**»[1]، وقال ﷺ: «**ليس الكذَّاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**»[2]، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة. قال الأوزاعي: ما خطوة أحـــب إلى الله -عزَّ وجلَّ- من خطوة في إصـــلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار.

يرضى الله عن النفس المؤمنة المطمئنة

قال اللـــه تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

النفس المطمئنة[4]: النفس المطمئنة هي النفس الزكية الساكنة الموقنة الدائرة مع الحق المطمئنة بالإيمان وبذكر الله تعالى وبثواب الله، الراضية بقضاء الله، التي علمـــت أن ما أخطأها لـــم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، المصدقة بالبعث والثواب، التي أيقنت أن الله ربها؛ فأخبتت لذلك؛ وعملت على يقين بما وعد الله في كتابه؛ فرضي الله تعالى عنها.

يقال لها ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾ أي؛ إلى جواره وثوابه وما أعـــد لعباده في جنته ﴿ رَاضِيَةً ﴾ في نفســـها ﴿ مَرْضِيَّـــةً ﴾ قد رضيت عن الله ورضي الله عنها وأرضاها. وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١١١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٤) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩/٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤٥/٤.

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القَطرة من فِيّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طَرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا، فيستَفْتحون له، فَيُفتح له، فيُشيِّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليِّين، وأعيدوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الرِّيح، فيقول: أبشِر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة! أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرَّق في جسده فينتزعها كما يُنتزع السُفود من الصوف

المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرُّون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟! فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمَّى بها في الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثمَّ قرأ ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابه في سجينٍ في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسَمُومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تُقِم الساعة»[1].

يرضى الله عن الراضي بالبلاء

قال رسول الله ﷺ: «إن عِظَمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضى، ومَن سَخِطَ فله السخط»[2].

الراضي بالبلاء[3]: الراضي بالبلاء هو العبد الذي يحبه الله سبحانه فيختبره بالمحن والمصائب فيصبر ويسترجع ويحتسب ذلك عند الله ويرضى بما ابتلاه الله به فيكون له الرضى وجزيل الثواب على قدر مصيبته. وابتلاء الله -عزَّ وجلَّ- عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة،

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٧٦.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٤.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٠/١٠٨-١١٦، ٣/١٥٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١١٧، ١٦/١٦٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٨٧، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٧/٦٦، والصلاة والرياضة والبدن للمؤلف ٢١٦.

فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد. فقد قال رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»[1]؛ وقال ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتّ ورق الشجر**»[2]. وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالبًا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أم قلبية - تكفر ذنوب من تقع له.

وقال ﷺ: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: مَن أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرض له ثوابًا دون الجنة**»[3]. الحبيبتان هما العينان؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به، أو شر فيجتنبه.. فيصبر مستحضرًا ما وعد الله به الصابر من الثواب، لا أن يصبر مجردًا عن ذلك؛ فيعوضه الله -عزَّ وجلَّ- بالجنة وهي أعظم العوض؛ لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها..

والصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[4]، وقال ﷺ: «**يقول الله سبحانه: ابن آدم! إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض لك ثوابًا دون الجنة**»[5]، فأشار إلى أن الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه هو ما يكون في أول وقوع البلاء ومفاجأة المصيبة فيفوض ويسلم فيدل ذلك على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو، وإذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذ ذاك؛ ومتى تضجر وتقلق في أول وهلة ثم يئس فيصبر لا يكون حصل المقصود؛ ولذلك قيل: يجب على كل عاقل أن يلتزم عند المصيبة ما لا بدَّ للأحمق منه بعد ثلاث. وقيل: إن المرء لا يؤجر على المصيبة؛ لأنها ليست من صنعه، وإنما

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب: شدة المرض.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: زيارة القبور.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٢٩٨.

يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره. وقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه: بيت الحمد**»[1].

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[2]. فالمؤمن إذا سلم لأمر الله واسترجع، أي: قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون؛ كُتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبل الهدى.

وزيادة على الصبر والاحتساب والاسترجاع عند الصدمة الأولى فقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن ندعو الله تعالى ونسأله الأجر والثواب والتعويض بخير من المصيبة التي وقعت، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها**»[3]. كذلك علَّمنا ﷺ أنه إذا رأينا مبتلى أن نحمد الله على المعافاة، فقال ﷺ: «**مَن رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء**»[4].

فالإنسان في هذه الدار معرض دائمًا للبلاء والفتنة -للاختبار والامتحان- ما دام فيه عرق ينبض، ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾[5]، بالمصائب وبالنعم، بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال.. فهذه الدار هي دار امتحان لتحديد الدرجات والمراتب التي سيكون عليها الناس في الآخرة، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يهان. فليس من

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٨١٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٢٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

السهل الحصول على مرتبة الإيمان بكلمة تقال باللسان، فلا بد من امتحان مَن يدَّعي الإيمان، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1]؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[2]، وسبب الابتلاء أيضاً، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[3]؛ فالابتلاء امتحان للعبد أيرضى أم يسخط؟ أيصبر أم يجزع؟ أيشكر أم يكفر؟ كما قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[4].

وابتلاء الله للعبد ليس الغرض منه أن يعلم الله -جل جلاله- حقيقة حال العبد، فالله عالم بما كان، وما يكون، وما هو كائن لا تخفى عليه خافية؛ بل غرضه إظهار علمه للناس حتى يصبح معلومًا لديهم؛ لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم. وأيضاً لتقام على العبد الحجة أنه من المؤمنين أم من الكافرين، من الصادقين أم من الكاذبين.

فلا أحد ينجو من الابتلاء ولو كان أحد ناجيًا منه لنجا الرسل والأنبياء وبالأخص أفضلهم محمد ﷺ، فقد قُذف بالحجارة وأدميت قدماه وشُجَّ وجهه وكُسر سنه واتُهِمَ بأنه شاعر ساحر مجنون وأُخرِج من بلده مكة وغير ذلك من البلاء؛ فكان خير الصابرين وخير المسترجعين وخير الشاكرين وخير المحتسبين صلوات الله وسلامه عليه.

قال سعد: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛**

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢-٣.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢.

(٤) سورة النمل، الآية: ٤٠.

يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1]. فالسر فيه أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد.. ومن كان أشد بلاء كان أشد تضرعًا والتجاء إلى الله تعالى.. قال ابن الجوزي: في الحديث دلالة على أن القوي يحمل ما حمل، والضعيف يرفق به إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان عليه البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء، وأعلى من ذلك درجة من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ولا يعترض، وأرفع منه من شغلته المحبة عن طلب رفع البلاء، وأنهى المراتب من يتلذذ به؛ لأنه عن اختياره نشأ، والله أعلم.

ومهما عظم بلاء الدنيا فهو لا شيء بالنسبة إلى غمسة واحدة في الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ أنه في يوم القيامة: «**يؤتى بأشد المؤمنين ضرًا وبلاء. فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة. فيُغمس فيها غمسة. فيقال له: أي فلان! هل أصابك ضر قط أو بلاء؟ فيقول: ما أصابني قط ضر ولا بلاء**»[2]؛ ولهذا «**يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت في الدنيا بالمقاريض**»[3]. ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[4].

يرضى الله عمن يحمده على الأكل والشرب

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشَربة فيحمده عليها**»[5].

حمد الله على الأكل والشرب[6]: الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٦.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٤٨٨.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٦٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

(٦) راجع: فيض القدير للمناوي ٢٦٢/٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ٥١/١٧.

الأكل كالغداء والعشـــاء، فيســـتحب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب. وقد كان النبـــي ﷺ إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مبـاركًا فيه، غير مكفي ولا مـودع ولا مسـتغنى عنه ربنا**»[1]، وقال ﷺ: «**مَـن أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمنـي هـذا ورزقنيه، من غير حول مني ولا قوة، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**»[2]. ولو اقتصر العبد على «**الحمد لله**» حصل أصل السنة.

وهذا تنويه عظيم بمقام الشـــكر حيث رتب هذا الجزاء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾[3]، في مقابلة شكره بالحمد وعبَّر بالمرة إشـــعارًا بأن الأكل والشـــرب يستحق الحمد عليه وإن قل جدًا، أو أنه يتعين علينا ألا نحتقر من الله شـــيئًا وإن قلَّ، وفيه ندب الدعاء عقبها ويُسن خفض صوته به إذا فرغ ولم يفرغ رفقته لئلا يكون منعًا لهم.

قال بعض الأكابر: هذا فيمن حمد حمدًا مطيعًا له طالبًا حســـن العمل طاهر النفـــس غير ملتفت إلى رشـــوة من ربه خالصًا من قلبـــه فإنه إذا كان كذلك وختمه بكلمـــة الصـــدق رضي الله عنه بصدقـــه، وأما من حمد على خـــلاف ذلك فحمده مدخول يُخشـــى ألا يستوجب الرضى، فإن رضى الله عن العبد خطب جليل وشأن رفيـــع، والحمد مع اســـتيلاء الغفلة وتـــرك الأدب مع الله إنما هو حمد الســـكارى الحيارى الذين لا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم فهيهات هيهات.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٥١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

مَن يبغض الله من الناس

لا يحب الله الكافرين

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

الكفر: الكفر ضد الإيمان. وهو المراد في الآية. وقد يكون بمعنى جحود النعمة والإحسان. أو يكون كفر دون كفر. وأصل الكَفْر في كلام العرب: الستر والتغطية؛ ومنه سمِّي الليل كافرًا؛ لأنه يغطي كل شيء بسواده. والكافر هو الذي غطَّى الحق وستره.

الكافرون: الكافرون هم ضد المؤمنين. وهم الظالمون الذين يغطون الحق ويستروه، ويكفرون بالله، ويجحدون وجوده، ويعبدون غيره، ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ويكفرون برسول الله محمد ﷺ، ويكفرون بما أنزل عليه من القرآن، ويكفرون سنته، ويستهزئون بشخصه وأموره الخاصة، ويكفرون بملائكة الله وكتبه ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويكفرون باليوم الآخر وبالبعث فلا يرون بعثًا ولا معادًا في الآخرة ويزعمون أنهم لا يُبعثون، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط وأنها هي جنتهم، ويكفرون بالجنة والنار.

وهم ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[2]، وهم الذين كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به، وينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، ويودون أن يكفر المسلمون كما كفروا فيكونون سواء، ولا يرضون عن المسلمين حتى يتبعوا دينهم وملتهم.

وهم الذين ﴿ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

وهم ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾[١]، و﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾[٢]، وهم ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[٣]، مع أنه ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾[٤]، ومع أن المسيح عليه الصلاة والسلام قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه مَن يُشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار. وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥].

وهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٦]. وهم الذين يستهزئون بالله ورسله، ويجادلون في آيات الله ويتخذونها هزوًا، ويسبون الله أو رسوله محمدًا ﷺ. وهم المرتدون الذين كفروا بعد إيمانهم بالله ورسوله، ويشتغلون بالسحر، ويتخذون دينهم لعبًا ولهوًا وتغرّهم الحياة الدنيا، وهم ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾[٧]، الذين منهم من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بالمسلمين الدوائر.

وهم الذين يقولون مُطرنا بالكوكب الفلاني أو بكذا وكذا ولا يقولون مُطرنا بفضل الله ورحمته، ويقاتلون المسلمين، ويرغبون عن آبائهم وينسبون أنفسهم إلى غير آبائهم وهم يعلمون أنهم غير آبائهم، ويتركون الصلاة، ويتركون سنة النبي ﷺ، ويشكون في كون القرآن كلام الله تعالى، ويرمون الآخرين بالكفر ولا يكونون كما قالوا.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٧.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٩٧.

وهم الآبقون من مواليهم، ويحلفون بغير الله، وهم «**من أتى حائضًا، أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا: فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ**»[1]. وهن اللاتي «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»[2].

فالله - تبارك وتعالى - لا يحب الكافرين ولا يرضى لعباده الكفر، قال تعالى:

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[3].

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[4].

لا يحب الله الظالمين

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[5].

الظلم: الظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه. ورجل ظَليم: شديد الظلم. والظلم: الشرك: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[6].

الظالمون: الظالمون هم الكافرون، وهم الذين يشركون بالله ويجحدون آياته ويكذبون بها، ويفترون على الله الكذب، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[7]، ويُذَكَّرون بآيات ربهم فيعرضون عنها، ويكذبون بالصدق إذا جاءهم، ويكفرون بعد إيمانهم، ويعرضون عن حكم الله تعالى، يحملون الكتب السماوية ولا يعلمون ما فيها أو يعلمون ما فيها ولا يعملون بها.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: كفران العشير وهو الزوج.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٧) سورة الصف، الآية: ٧.

وهـــم ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1]، وهم الذين يتخذون اليهـــود والنصارى أولياء وأنصارًا وأحبابًا، ويعطلون المســـاجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإســـلام فيها، ويتخذون آباءهم وإخوانهم الكفار أولياء، ويكتمون الشهادة، ويتعـــدون أحكام الله التي شـــرعها للنـــاس في الزواج والطلاق وغيـــره، ويتعاملون بالربا، ويعلقون التمائم، ويتمسحون بالقبور، ويصورون التماثيل، ويُعظِّمون الصور، ويماطلون في دفع الدين وهم أغنياء، وينهبون أراضي الغير.

وهـــم الذين يرتكبون المعاصـــي والفواحش صغيرها وكبيرهـــا، والجرائم على أنواعها، ويقتلون ويســـلبون وينصبون ويحتالون ويرشـــون ويرتشون، ويأكلون أموال الناس وأموال اليتامى بالباطل، ويقتلون أنفسهم، ويدَّعون الدعاوى الكاذبة، ويحلفون علـــى الباطل، ويضلون الناس بغير علم، ويـــؤذون جيرانهم، ويعاقبون الناس بذنوب غيرهم، ويلحدون في المســـجد الحرام فيرتكبون فيه ما نهى الله ورســـوله عنه من المحرمـــات ومما هو خاص بالحرم، ويتركون بعض ســـنن النبي ﷺ ويتبعون طرق شيوخهم، ويتبعون أهواءهم بغير علم، ويسخرون من الآخرين ويطعنون بهم ويلعنونهم ويعيبونهم ويعيرونهم بما فيهم. ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[2].

لا يحب الله المعتدين

قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[3].

الاعتداء: تجاوز الحد في كل شيء؛ وعُرِف في الظلم والمعاصي.

المعتدون: المعتدون هم الذين لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ، ويكذبونه ويفترون عليه، ويعتدون على الناس بغير الحق فيقتلون الرجال، ويذبحون الأطفال، ويغتصبون النساء، ويسرقون الأراضي، ويسلبون البيوت ويدمرونها، ويحرقون الأخضر واليابس.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

ولأن الله -عزَّ وجلَّ- لا يحب الاعتداء ولا المعتدين فقد أمر بالعدل ونهى عن الاعتداء حتى عند قتال الكفار والمشركين، فقال تعالى مخاطبًا المسلمين: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[1]، ويدخل في الاعتداء ارتكاب المناهي من التمثيل بالجثث، والخيانة في الغنيمة، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة. وكذلك نهى رسول الله ﷺ عن الاعتداء في الحرب فقال ﷺ: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا**»[2].

والمعتدون هم الذين يقتلون علماء الدين والدعاة والملتزمين بالدين، أو يحبسونهم، أو يعذبونهم بالضرب وغيره، أو يتهمونهم بالتهم الباطلة والملفقة، أو يضحكون منهم، أو يستهزئون بهم، أو يتغامزون عليهم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3].

وهم الذين يعتدون على محارم الله ويتعدون حدوده، ويرتكبون المعاصي، ولا يتناهون عن المنكر. ويظلمون الناس ويضربونهم، ويغتابون الآخرين ويسبونهم ويشتمونهم.

وهم الذين يتشددون في الدين فيحرِّمون على أنفسهم ما أحله الله لهم من الطيبات والمباحات من المأكل والمشرب والملبس والمنكح، أو يعتدون في تناول الحلال فيأخذوا منه أكثر من كفايتهم وحاجتهم ويتجاوزون الحد فيه، أو يترخصون فيحلوا حرامًا.

وهم الذين يُقتَل لهم القتيل ويأخذون ديته ثم يقتلون القاتل بعد ذلك، ويعتدون في الانتصار لأنفسهم فيعتدون أكثر مما اعتدي عليهم. ويحملهم بغض قوم على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

ترك الحق والعدل فيهم، ويعتدون على الآخرين بالقول وشهادة الزور والحلف الكاذب، ويعتدون على زوجاتهم ويظلمونهن بغير حق.

وهم الذين يتجاوزون الحد في الأمور كلها كبيرها وصغيرها، ويعتدون في الدعاء بالجهر الكثير والصياح، أو يدعون في أن تكون لهم منزلة نبي أو طالبين معصية وغير ذلك، أو يدعون بألفاظ ليست في الكتاب والسنة فيجعلونها شعارهم ويتركون ما دعا به النبي ﷺ، ويعتدون في الطهور بالزيادة على الثلاث، وإسراف الماء، وبالمبالغة في الغسل إلى حد الوسواس، قال المصطفى ﷺ: «**إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**»[1]. وهم الذين يعتدون في الصدقة والزكاة فيعطونها غير مستحقيها، قال النبي ﷺ: «**المعتدي في الصدقة كمانعها**»[2].

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾[3].

لا يحب الله الفساد والمفسدين

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[5].

الفساد: هو العدول عن الاستقامة إلى ضدها. وهو ضد الصلاح.

المفسدون: المفسدون هم الذين يعدلون عن الحق وهو لا إله إلا الله إلى الباطل وهو اتخاذ آلهة من دون الله، ويكفرون ويصدون عن سبيل الله، ويفرقون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، ويكيدون ويمكرون بالمسلمين، وإذا دخلوا قرية عاثوا فيها فسادًا وقتلاً وحرقًا وتدميرًا وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٨٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٤٠٣.

(٣) سورة ق، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

هم ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾[1]، ويتجبرون ويطغون ويعصون أوامر الله، ويركبون ما نهاهم عن ركوبه، ويفسدون سنن النبي ﷺ، ويبتدعون في الدين، وينقضون العهود والمواثيق، ويفسدون ذات البين بين الأحبة والأصدقاء، ويمشون بالنميمة. مقالهم أعوج، وأفعالهم سيئة وقبيحة، واعتقادهم فاسد، ويكذبون إذا حدَّثوا، ويخلفون إذا وعدوا، ويخونون إذا اؤتمنوا، ويغدرون إذا عاهدوا، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات، ويفجرون إذا خوصموا، ويهلكون الحرث فلا زرع ينبت ولا ثمار، ويهلكون نتاج الحيوانات.

هم الذين يرتكبون الشذوذ الجنسي، ويشربون الخمر، ويتعاطون المخدرات، ويتعاملون بالربا والرشوة، ويحتكرون في التجارة، ويأكلون أموال اليتامى وأموال الناس بالباطل، وينقصون المكيال والميزان، ويحتالون على الناس ويغشونهم وينصبون عليهم، ويتعاملون بالسحر والشعوذة، ويوالون الكفار ويتآمرون معهم على المسلمين. ويعملون بالسحر فيفرقون بين المرء وزوجه ويفسدون في الأرض.

لا يحب الله الخائنين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[3].

الخيانة: هي الغش والغدر وإخفاء الشيء. وهي ضد الأمانة.

الخائنون: الخائنون هم الذين يخونون الله ورسوله، ويخونون ما اؤتمنوا عليه من العلم والأمانات وغيرها، ويفشون الأسرار، ويدَّعون الزور، ويغشون في تعاملهم وتجاراتهم، وينقضون العهود، ويخالفون الاتفاقات التي يعقدونها، ويرجعون في وعودهم. وهم الذين يغشون في حكمهم، أو رعيتهم، أو أهليهم وما ولوا. وهم

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٨.

«إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يفون»[١].

«ومَن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه»[٢]، وهم الذين يخلفون إخوانهم أو أقرباءهم أو جيرانهم في أهليهم وزوجاتهم فيخونونهم، ويخونون شركاءهم في العمل أو أصحاب العمل، ويخصون أنفسهم بالدعاء دون المأمومين، ويسرقون النظر إلى النساء، ويخونون زوجاتهم، ويخن أزواجهن، ويكذبون على الآخرين في أحاديثهم والآخرون مصدقون لهم.

«والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك»[٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[٤].

لا يحب الله المستكبرين

قال الله تعالى: **﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾**[٥].

قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر»**[٦].

الكبر: العظمة والتجبر، والارتفاع على الناس واحتقارهم والازدراء بهم، وتسفيه الحق وإبطاله. وهو ضد التواضع.

المستكبرون: المستكبرون هم الذين يستكبرون عن عبادة الله، مع أنه **﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٠٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٣.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر.

وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1].

وهم ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[2].

وهم ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[3].

وهم ﴿ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾[4]، وهم الذين يتكبرون عن إجابة من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويثقل عليهم تذكيرهم بآيات الله وأوامره ونواهيه، وقلوبهم لا تقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر وهم متكبرون متعظمون عن قبول الحق، ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[5].

وهم الذين ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[6]، ويمتنعون عن الصلاة والسجود ووضع جباههم على الأرض، لا يؤمنون بالبعث والنشور ولا بيوم الحساب ولا بالجنة والنار.

وهم الذين ينكرون الحق ترفعًا وتجبرًا، ويزدرون الآخرين ويرتفعون عليهم ويحتقرونهم، ويمشون شامخي الأنوف فإذا رأوا ضعفاء الناس وفقراءهم لم يسلموا عليهم ولم يجلسوا إليهم محقرة لهم، يتعالون بملابسهم ويطيلونها إلى الأرض وإذا مشوا جروها خيلاء، ويفخرون على الناس بسياراتهم وممتلكاتهم.

﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[7].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٧٢-١٧٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٧.
(٦) سورة الصافات، الآية: ٣٥.
(٧) سورة غافر، الآية: ٧٦.

يمقت الله المجادلين في آيات الله

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[1].

المجادلون في آيات الله[2]: المجادلون في آيات الله هم الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليلٍ وحجةٍ معهم من الله تعالى، فإن الله -عزَّ وجلَّ- يمقت على ذلك أشد المقت؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي؛ والمؤمنون أيضًا يبغضون مَن تكون هذه صفته. والمقت: أشد البغض.

ومَن كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ أي؛ كما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين؛ فكذلك ﴿ يَطْبَعُ اللَّهُ ﴾، أي؛ يختم على كل قلب متكبر جبار حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق. قال قتادة: آية الجبابرة القتل بغير حق، والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3]. أي؛ وهؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة، بلا برهان ولا حجة من الله، ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ أي؛ ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه -من إخماد الحق وإعلاء الباطل- بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع.

وهؤلاء الذين يجادلون المؤمنين في دينهم ويخاصمونهم ويحاجونهم في الله؛ عليهم غضب من الله، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[4].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٤/١، ١١٩/٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، تفسير آية: ١٣٩ من سورة البقرة.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٦.

وهـؤلاء المجادلون هم اليهود والنصارى الذين يجادلون المسـلمين، ويصدونهم عن الهدى، ويقولون للمسلمين: نحن أولى بالله منكم، لأنَّا أبناء الله وأحباؤه، ولتقدم آبائنـا وكتبنـا. ويقولون لهم أيضًا: ديننا خير من دينكـم، ونبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خير منكم وأولى بالله منكم. ويرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل الكتاب وأنهم أولاد الأنبياء.

وهـم الذين يخاصمون في دين الله الـذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ، ويقولون للمسـلمين: ديننا أفضل من دين الإسـلام، وحضارتنا أفضل من حضارة المسلمين، وشـريعتنا متقدمة ومتفوقة على شريعة الإسـلام، وديننا يتطور ويناسب كل عصر والإسلام فات زمانه ولم يعد مناسبًا لهذا العصر ولا لما بعده من العصور.

وهم المشـركون وأهل الضلالة الذين يجادلون المؤمنين ليصدونهم عن الهدى، ويطمعوا أن تعود الجاهلية.

وقـد توعـد الله تعالى جميع هؤلاء الذين يصدون المسـلمين عن سـبيل الله، والذين يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى؛ فبيَّن سـبحانه أنه يمقتهم، وأن حجتهم باطلة عند الله، وعليهم غضب منه تعالى، ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

وأمـر الله تعالى رسـوله محمدًا ﷺ أن يرد على هـؤلاء جميعًا، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[1]، أي: قـل يا محمد لهؤلاء اليهـود والنصارى الذين زعموا أنهـم أبناء الله وأحباؤه، وادَّعـوا أنهم أولى بالله منكم لقدم آبائهم وكتبهم: أتحاجوننا في الله، وتزعمون أن دينكـم أفضل من ديننا، وأنكم على هدى ونحن على ضلالة، ببرهان من الله تعالى فتدعوننا إلى دينكم؟ فهاتوا برهانكم على ذلك فنتبعكم عليه!

ثم قال عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد إن ادَّعوا أن إبراهيم وإسـماعيل وإسـحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى: أأنتم أعلم بهم وبما كانوا عليه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٩.

مـــن الأديان أم الله؟ فهاتوا على دعواكم ما ادعيتم من ذلك برهانًا فنصدقكم! فإن اللـــه قد جعلهم أئمة يُقتدى بهم. فأنكر تعالـــى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكـــر بعده من الأنبياء والأســـباط كانوا على ملتهم، إما اليهوديـــة وإما النصرانية، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودًا ولا نصارى، فقال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1].

ثم توعدهم الله وعيدًا شـــديدًا، أن علمه محيط بعملهم وسيجزيهم عليه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَـــهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[2]. قال الحســـن البصري: كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم إن الدين الإســـلام، وإن محمدًا رســـول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم الله، فكتموا شهادة الله عنهم من ذلك.

ويقول الله تعالى مرشـــدًا نبيَّه صلوات الله وســـلامه عليـــه، إلى درء مجادلة المشـــركين أيضًا: ﴿ **قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ** ﴾ أي؛ تناظروننا في توحيد الله والإخلاص لـــه، والانقياد، واتباع أوامره، وتـــرك زواجره، ﴿ **وَهُوَ رَبُّنَـــا وَرَبُّكُمْ** ﴾ بيده الخيرات، وإليه الثواب والعقاب، والجزاء على الأعمال، الحســـنات منها والسيئات، المتصرف فينا وفيكم، المســـتحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شـــريك له، ﴿ **وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ** ﴾ أي؛ نحن براء منكم ومما تعبدون وأنتم براء منا.

فأمـــا قولـــه: ﴿ **وَنَحْنُ لَـــهُ مُخْلِصُونَ** ﴾ فإنـــه يعني: ونحن للـــه مخلصو العبادة والطاعة لا نشرك به شيئًا، ولا نعبد غيره أحدًا، كما عبد أهل الأوثان معه الأوثان، وأصحاب العجل معه العجل. وهذا من الله - تبارك وتعالى - توبيخ لليهود والنصارى والمشـــركين، واحتجاج لأهل الإيمان، بقوله تعالى للمؤمنين من أصحاب محمد ﷺ: قولوا أيها المؤمنون لليهود والنصارى الذين قالوا لكم: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا: أتحاجوننـــا في دين الله الذي أمرنـــا أن ندينه به، وربنا وربكم واحد عدل لا يجور،

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

وإنما يجازي العباد على ما اكتسبوا. وأن لكل فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الأعمال وسيئها، ويجازى فيثاب أو يعاقب، لا على الأنساب وقدم الدين والكتاب، وتزعمون أنكم أولى بالله منا لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم، ونحن مخلصون له العبادة لم نشرك به شيئًا، وقد أشركتم في عبادتكم إياه، فعبد بعضكم العجل وبعضكم المسيح. فأنى تكونوا خيراً منا، وأولى بالله منا؟!.

يمقت الله الذين يقولون ما لا يفعلون

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[1].

القول ما لا يفعل: هو أن يعد الإنسان وعدًا، أو يقول قولاً ولا يفي به، أو يقول عن نفسه من الخير ما لا يفعله. أما في الماضي فيكون كذبًا، وأما في المستقبل فيكون خلفًا، وكلاهما مذموم.

القائلون ما لا يفعلون: القائلون ما لا يفعلون هم الذين يتعلمون العلم ويعلمونه للناس ولا يعملون بما يقولون، والعمل بالعلم هو المطلوب من العباد، النافع عند قيام الأشهاد، ومتى تخلف العمل عن العلم كان حجةً على صاحبه وخزيًا وندامة يوم القيامة.[2] فإن صاحب العلم اللساني الذي لم يتأثر منه فإنه محجوج عليه، ويقال له: ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾. قال مالك بن دينار. إذا لم يعمل العالم بعلمه، زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر من الصفا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

قال رسول الله ﷺ: «**أتيت ليلة أُسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضتْ وَفَتْ**[3]**، فقلت: يا جبريل مَن هؤلاء؟**» قال: هؤلاء خطباء أمتك

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

(٢) فيض القدير للمناوي ٢٥٣/٣.

(٣) رجعت كما كانت بعد قصها وقطعها.

الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به[1]. وعن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا؛ فسكت. ثم قيل له: حدثنا. فقال: أترونني أن أقول ما لا أفعل فاستعجل مقت الله!.

وهم الذين ينصحون غيرهم بعمل البر والخير وينسون أنفسهم، فلا يفعلون ما يقولون. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2]. إن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر؛ ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قومًا كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها، وبخهم به توبيخًا يُتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة، وقال أبو العتاهية:[3]

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى ... وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإن انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

والغرضُ أن الله تعالى ذمَّهم على هذا الصنيع، ونبَّههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع مَن أمرهم به ولا يتخلف عنهم[4].

وهم الذين يسألون عن أي الأعمال أحب إلى الله ليعملوه، فإذا علموه لا يعملون به. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾، يوجب على كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة أن يفي بها.

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٩/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٩/١.

وهم الذين يعدون بالقيام بالجهاد في سبيل الله، فإذا دُعوا إليه تولوا ولا يفون بما وعدوا به. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾[1].

وهم الذين يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك. وهم الذين يقولون: قاتلنا، ولم يقاتلوا. وضربنا، ولم يضربوا، وصبرنا ولم يصبروا... وهم الذين يتشبعون بما لم يعطوا: من مالٍ يختالون في التجمل به من غيرهم، أو نسبٍ ينتمون إليه، أو علمٍ يتحلون به وليسوا هم من حملته، أو دينٍ يظهرونه، وليس هم من أهله؛ يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وقد قال الله تعالى: ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2]. يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما قال النبي ﷺ: «**من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها، لم يزده الله إلا قلة**»[3]. وقال ﷺ أيضًا: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**»[4].

وهم الذين يعاهدون الناس، ويبرمون معهم العقود، ويتفقون مع الآخرين، ولا يوفون بعهودهم، أو بعقودهم، أو باتفاقاتهم، وينقضون وينكثون ويخلفون، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** ﴾[5]. لفظ عام لجميع ما يعقد الإنسان باللسان، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾[7].

وهم الذين يعدون غيرهم بالوعد الخير ولا يفون به؛ فصدقُ الوعد من الصفات الحميدة، كما أن خلفه من الصفات الذميمة، قال الله تعالى: ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾،

---

(١) سورة الصف، الآية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن التزوير في اللباس وغيره.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ١.

وقال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[1]، ولما كانت هذه صفات المنافقين، كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين.

وهم الذين يعدون الأطفال بأشياء ولا يفون لهم، والكلمات التي يتفوه بها الناس هزلاً ومداعبةً للأطفال عند البكاء مثلاً بإعطائهم شيءٍ ما، أو وعدهم بشيءٍ إذا نفذوا أمرًا ما، أو تخويفهم بشيءٍ إذا ارتكبوا شيئًا ما- هذه الكلمات داخلة في الكذب. عن عبد الله بن عامر، أنه قال: دعتني أمِّي يومًا ورسول الله ﷺ، قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتِبَت عليك كذبةٌ**»[2].

لا يحب الله المسرفين

قال الله تعالى: ﴿**وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[3].

الإسراف: الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد. والسرف الخطأ في الإنفاق والتبذير، والسرف الغفلة والجهل. وهو ضد الاقتصاد.

المسرفون: المسرفون هم الذين يتجاوزون الحد في الكفر والشرك، ويتركون أمر الله، ويسرفون في أمرهم بارتكاب الكبائر، ويسرفون في جمع المعاصي والفواحش بعضها إلى بعض، ويعرضون عن الدين وتلاوة كتاب رب العالمين والعمل بما فيه، ويأكلون أموال اليتامى، وينفقون أموالهم في غير طاعة الله وفي المعاصي، وينفقون أموال غيرهم.

وهم الذين يُقتَل لهم القتيل فيسرفون في القتل فيقتلون غير القاتل، أو يقتلون اثنين بدلاً من واحد، أو يمثِّل بالقاتل، وهم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويتكبرون ويتجبرون.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٧٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

وهـم الذين يتصدقون بجميـع أموالهم دون أن يتركوا لأهلهم شـيئًا ويقعدون فقراء، ويسرفون في الأكل والشرب، والملبس والمسكن، ولا يشتهون شيئًا إلا اشتروه فأكلوه، ويسرفون في استخدام الماء والكهرباء والهاتف وغيره، ويسرفون في الوضوء بالزيادة على المرات الثلاث أو باستخدام الماء.

﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[1].

لا يحب الله الفرحين

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[2].

الفـرح: لـذة تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشـتهى، فيتولد من إدراكه حالة تسـمى الفرح والسـرور، كما أن الحزن والغم من فقـد المحبوب، فإذا فقده تولد من فقده حالة تسـمى الحزن والغم. وقد ذكر الله تعالى الأمر بالفرح بفضله وبرحمته: ﴿ قُلْ بِفَضْـلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3]. فالفرح متى كان بالله، وبما مَنَّ الله به، مقارنًا للخوف والحذر: لم يضر صاحبه، ومتى خلا عن ذلك: ولا بد.

الفرحون: الفرحون هم قسـاة القلوب البطرين ﴿ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَـدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾[4]، الذين يبطـرون ويعجبون بما أوتوا ويظنون أن ذلك لا يبيد وأنه دال على رضاء الله -عزَّ وجلَّ- عنهم، يحزنون إذا أصاب المسـلمين نصر وغنيمـة، ويفرحون إذا أصابتهم هزيمـة ومصيبة و﴿ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَـا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[5]. لا يفرحون بالقرآن والإسـلام ويفرحون ويمرحون بالدنيا وما فيها من كفر وشرك، وفسق وفجور، وملاهي ومعاصي.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٠.

هم الذين إذا أنعم الله -عزَّ وجلَّ- عليهم بنعمة ثم نزعها منهم ييأسوا من رحمة الله ويجحدوا النعم، وإذا أنعم الله تعالى عليهم بالصحة والرخاء والسعة في الرزق بعد ضر وفقر وشدة يفرحوا ويفخروا بما نالوه من السعة وينسوا شكر الله تعالى عليها، ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾[1]. وهم الأثرياء الذين أعطاهم الله تعالى من الدنيا ما لا حصر له فلا يطلبون بها الدار الآخرة وهي الجنة بل يطلبون بها ما هو حاصل لهم في الأصل، أي: الدنيا ويضيعون أعمارهم في سبيل ذلك. وهم الذين يفرحون فرحًا مطغيًا لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه ويتخذون الشماخة والكبر والأشر والبطر والاستغراق في اللهو والفرح بما أوتوا ديدنًا وشعارًا.

هم الذين يفترقون عن جماعتهم ويفرقون دينهم فيجعلونه أديانًا ويصيروا فرقًا فرقًا بعد ما أُمروا بالاجتماع، وكلاً منهم معجب برأيه وضلالته ويضعون الكتب التي تحتوي على هذه الآراء والضلالات فيؤمنون بهذه الكتب ويكفرون بما سواها و﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2]، وكل فرقة بطريقتهم معجبون.

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[3].

لا يحب الله المختال الفخور

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾[4].

المختال الفخور: المختال الفخور هو المتكبر المعجب بنفسه وينظر إليها بعين الافتخار، وينظر إلى الناس بعين الاحتقار ويصعِّر خده لهم، ويفخر بحسبه وماله ومركزه الاجتماعي، ويمشي في الأرض مرحًا، ويختال في مشيته، ويرفع صوته.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.

هو الذي يعق والديه ولا يعاملهما بإحسان، ولا يحسن إلى أقربائه واليتامى والمساكين، ولا يكرم جيرانه أو ابن السبيل أو الخدم.

هو الذي يشتري أفضل وسائل التنقل ليرائي بها ويستطيل بها على الناس ليريهم أنه أعز منهم وأكبر، فيركب أعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة.

هو الذي يدَّعي لنفسه ما ليس عنده ليفتخر على غيره، ويحزن على ما فاته من الدنيا، ويفرح بما أتاه من الدنيا فيتكبر على الناس ويفخر عليهم، ويتعدَّى في حزنه وفرحه إلى ما لا يجوز.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

لا يحب الله المسبلين

قال رسول الله ﷺ: «**يا سفيان بن سهل! لا تُسبل فإن الله لا يحب المسبلين**»[2].

المسبل[3]: المسبل هو الذي يرسل إزاره أسفل الكعبين[4]، ويخالف سنة النبي ﷺ في طول الإزار الذي حدده النبي ﷺ بقوله: «**إزرة المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج، - أو لا جناح - فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جرَّ إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه**»[5]، وفي الحديث دلالة على أن المستحب أن يكون إزار المسلم إلى نصف الساق والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين، وما كان أسفل من الكعبين فهو حرام وممنوع.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٨٧٦.

(٣) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ١١/١٠٣-١٠٤.

(٤) الكعب (الكاحل): المفصل الذي بين الساق والقدم، وإطلاق لفظ الكعب على عقب القدم الخلفي الملامس للأرض هو خطأ شائع.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٤٩.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الإسبال من المخيلة وهي الكبر وأن الله لا يحب المخيلة فقال عليه الصلاة والسلام: «**وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المَخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة**»[1]. والمسبل على خطر عظيم في الآخرة وله عذاب أليم حيث يقول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»[2].

والإسبال يمكن أن يكون في القميص أو العمامة لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**الإسبال؛ في الإزار، والقميص، والعمامة، من جر منها شيئًا خُيَلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[3]. القميص: هو الثوب الساتر الذي يصل إلى نصف الساق، أو قرب الكعبين، ويلحق به أردية الرجال مثل: العباءة، والبرنس المغربي، والجلابية وما شابه. وإسبال العمامة المراد به إرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة. وتطويل أكمام القميص تطويلاً زائدًا على المعتاد من الإسبال، وكذلك كل ما زاد على المعتاد في اللباس في الطول والسعة.

لا يرضى الله عن الفاسقين

قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾[4].

الفاسقون: الفِسْق أصله الخروج عن الشيء؛ يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها؛ والفأرة من جحرها. وفَسَقَ الرجل فسقًا وفسوقًا؛ أي؛ فجر. والفِسِّيق: الدائم الفسق. والفِسْق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله -عزَّ وجلَّ-، فقد يقع على مَن خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٥٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٩٦.

والفاسقون هم ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾[1]؛ فهم يتركون العمل بما في كتبهم باتباع محمد ﷺ بعد بعثته والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم، ويجحدونه بعد معرفتهم بحقيقته ويكتمون علم ذلك عن قومهم، ويتركون العمل بوصية الله تعالى إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى ألسنة رسله. ويقطعون الأرحام فلا يصلوها، ويقطعون بين القول والعمل فيقولون ولا يعملون، ويقطعون التصديق بجميع أنبيائه؛ فيصدقون بعضهم ويكذبون بعضهم، ويقطعون دين الله وعبادته في الأرض وإقامة شرائعه وحفظ حدوده، وغير ذلك مما أمر الله تعالى به أن يوصل. ويفسدون في الأرض بعبادة غير الله تعالى ويجورون في الأفعال، إذ هي بحسب شهواتهم.

وهم الذين يغيِّرون ما هو من صفات الله تبارك وتعالى، ويبدِّلون كلام الله وسنة رسوله ﷺ، فيبتدعون في الدين ما لم يأت به النبي ﷺ. ويكفرون بالآيات التي أنزلها الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ. وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، ويتعاملون بالسحر، ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2].

وهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[3]؛ وهم الذين يأتون معاصي الله -عزَّ وجلَّ-، ويعملون الخبائث، ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويسبون المسلمين، ويعيِّرون الآخرين فينادونهم بالألقاب القبيحة والصفات السيئة، ويوالون الكفار، ويخونون ويشهدون الزور، ويسرقون الناس ويرتشون، وآباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموالهم وتجارتهم ومساكنهم أحب إليهم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، يتكالبون على الدنيا وينسون الآخرة؛ ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٩.

هم الذين ارتابت قلوبهم وشكَّت في الدين وهم في شكهم يذهبون ويرجعون، يتخلفون عن الجهاد وينشرون بين المسلمين الفساد والنميمة والشائعات وإيقاع الفتنة والاختلاف والأكاذيب، يفرحون إذا أصيب المسلمون بمصيبة، ويغتمون إذا أصيبوا بخير.

﴿ **وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى** ﴾[1]، ويحلفون بالله إنهم من المؤمنين وما هم منهم ولكنهم قوم يخافون أن يُظهروا ما هم عليه من الفسق والنفاق، ويحلفون بالله ليرضوا المسلمين والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين، يرضون المسلمين بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون.

هم الذين ﴿ **يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[2]. يعيبون المؤمنين ويسخرون من اتباعهم أوامر الله ورسوله في الهيئة واللباس، ويعيبون المؤمنات ويسخرون من اتباعهن أوامر الله من فوق سبع سماوات في الحجاب، ﴿ **يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾[3].

﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾[4].

لا يرضى الله عن شارب الخمر أربعين ليلة

قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة، فإن مات مات كافرًا، وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال**»، قالت: قلت: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «**صديد أهل النار**»[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٩٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٠.

(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٧٤٧٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

الخمر: الخمر مأخوذة من خَمَر إذا ستر؛ ومنه خمار المرأة. وكل شيء غطَّى شيئًا فقد خَمَره؛ فالخمر تَخْمُر العقل، أي؛ تغطيه وتستره. وقيل: إنما سميت الخمر خمرًا؛ لأنها تُركت حتى أدركت؛ كما يقال: قد اختمر العجين، أي؛ بلغ إدراكه. وخُمِر الرأي، أي؛ تُرك حتى يتبين فيه الوجه. وقيل: إنما سميت الخمر خمرًا؛ لأنها تخالط العقل، من المخامرة وهي المخالطة؛ ومنه قولهم: دخلت في خُمار الناس، أي؛ اختلطت بهم. فالمعاني الثلاثة متقاربة؛ فالخمر تُركت وخُمِرت حتى أدركت، ثم خالطت العقل، ثم خمرته؛ والأصل الستر. والخمر: ماء العنب الذي غَلَى أو طُبخ؛ وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه. والجمهور من الأمة على أن ما أسكر كثيره من غير خمر العنب فمحرم قليله وكثيره، والحد في ذلك واجب[1].

إن الله تعالى لم يدع شيئًا من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة؛ فكذلك تحريم الخمر. فأول ما نزل في أمر الخمر قول الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾[2]. ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾[3]. ثم قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾[4]. ثم قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[5].

لقد حرَّم الله الخمر، وشربها يعد من كبائر الذنوب، فالخمر أم الخبائث، تخرج شاربها من الإنسانية إلى الحيوانية، ومن الوعي إلى الغيبوبة، ومن العقل

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

إلى الجنون، والسكران يختل كلامه المنظوم، وينكشف سره المكتوم، ولا يعرف السماء من الأرض، ولا الطول من العرض، ولا يميز بين الحسن والقبيح، ولا يتورع عن المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور والقتل وزنا المحارم وغير ذلك من الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وما لا يرضى الإنسان أن يفعله صحيحًا واعيًا لا يتردد في أن يفعله وهو سكران، ثم إن الشارب يصير ضُحْكَة للعقلاء، فيلعب ببوله وبرازه، وربما يمسح بهما وجهه، أو يقوم بأفعال أخرى تجعله مضحكة حتى للأطفال والسفهاء، ويكفي أن السكران يسقط من أعين الناس واعتبارهم ولو كان رفيع الشأن.

قال عثمان رضي الله عنه: «**اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فعَلِقَتْه امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام، وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تشرب من هذه الخمرة كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسًا، فسقته كأسًا، قال: زيدوني! فلم يَرِمْ حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه**»[1].

فهذا هو شأن الخمر إذا خامرت العقل فعل الإنسان أي شيء قبيح، ومن شرب كأسًا طلب الزيادة إلى أن يزول عقله؛ ولهذا فإن القليل من الخمر حرام، قال رسول الله ﷺ: «**ما أسكر كثيره، فقليله حرام**»[2]، فقد سد الشرع نهائيًا باب الخمر فحرَّمه حتى وإن كان رشفة يسيرة.

وقد تنبأ رسول الله ﷺ بأن الخمر سوف تُسمى بغير اسمها لإبعادها عن لفظ الخمر المفزع؛ ولهذا قال ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»[3]، فمهما كان اسم الخمر فهو حرام؛ سواء كان اسمها نبيذ أو عرق أو جعة

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٥٢٣٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٢٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٣٥.

وهي البيرة أو (ويسكي) أو (شمبانيا) أو (كونياك) أو (فودكا) أو مشروبات روحية أو أي اسم آخر، فليس هناك أي مجال لأي إنسان أن يخدع نفسه ويقنعها بأن ما يشربه لا ينطبق عليه اسم الخمر. وحتى لا يقول أحد عن شراب ما إنه ليس خمرًا قال النبي ﷺ: «**كل مسكر خمر**»[1]؛ فإذا كان كل مسكر خمرًا فهو إذًا حرام، قال ﷺ: «**كل مسكر حرام**»[2]، وهذا فيه رد على بعض الناس الذين يخادعون الله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، الذين يقولون إنهم إذا شربوا الخمر لا يسكرون، وهي بالنسبة لهم كعصير البرتقال والتفاح وغيرها من الفاكهة بالنسبة لغيرهم، فكل مسكر يسكر غيرهم فهو حرام بعينه ويحرم شربه وإن لم يسكرهم هم، كذلك ما أسكر غيرهم كثيره، فقليله عليهم حرام وإن لم يسكرهم كثيره.

وقد أعلم الله تعالى عباده أن الشيطان إنما يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين الناس بسبب الخمر، فكم من أصدقاء اجتمعوا على شرب الخمر وليس في قلوبهم ضغائن، فلما سكروا تشاجروا وضربوا بعضهم البعض حتى أدموا أنفسهم وشوهوا وجوههم فوقعت العداوة والبغضاء فيما بينهم؟! بل كم سمعنا عن صديقين حميمين اجتمعا على شرب الخمر فلما سكرا قتل أحدهما الآخر ثم أقيم الحد على القاتل وأُعدم ولم يكن السبب سوى جرعة خمر؟! قال رسول الله ﷺ: «**لا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر**»[3].

ولهذا حذَّرنا الله تعالى من الخمر، ونهانا عنها، وأمرنا باجتنابها أشد الاجتناب وعدم التعامل في أي عمل له علاقة بالخمر فضلاً عن شربها؛ وقد لُعنت الخمر على عشرة أوجه؛ قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه**»[4] «**وآكل ثمنها**»[5]، بل هناك حالة غير هذه الحالات العشر ومع ذلك نهى الشرع

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٥١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب: أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧١٧.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٢١.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧٢٥.

عنهـا، وهـي أن يجلس الإنسـان على مائدة تـدار عليها الخمر، قال رسـول الله ﷺ: «**مـن كان يؤمـن بالله واليـوم الآخـر، فـلا يجلـس علـى مائـدة يُـدار عليهـا بالخمـر**»[1]، فـإذا كان هـذا الإنسـان لا يشـرب الخمـر ولا يفعـل أي عمل من الأعمـال الأخـرى المذكورة والأمر هكـذا، فكيف يكون الأمر إذًا لو كان يشـرب؟! قـال النبي ﷺ: «**لا يشـرب الخمـر حين يشـربها وهـو مؤمن**»[2]؛ فقـد نفى النبي ﷺ الإيمـان عـن شـارب الخمـر، ومـن انتفـى الإيمان عنـه ومات علـى ذلك فحسـابه عسـير وعاقبته وخيمة يوم القيامة، قـال ﷺ: «**لا يدخـل الجنة مدمن خمر**»[3]، وأقل ذلك أن المسلم الذي يدخل الجنة سيُحرم من خمر الآخرة إن شربها فـي الدنيـا، قال ﷺ: «**من شـرب الخمر فـي الدنيا ثـم لم يتـب منهـا حُرِمها في الآخرة**»[4].

والوعيد يتناول من شـرب الخمر وإن لم يحصل له السـكر؛ لأنه رتب الوعيد في الحديث على مجرد الشـرب من غير قيد. وقال الخطابي والبغوي في (شـرح السـنة): معنى الحديث لا يدخل الجنة؛ لأن الخمر شـراب أهل الجنة، فإذا حُرِمَ شـربها دل على أنه لا يدخل الجنة. وقال ابن عبد البر: هذا وعيد شديد يدل على حرمان دخول الجنة. قال: ويحمل الحديث عند أهل السـنة على أنه لا يدخلها ولا يشرب الخمر فيها إلا إن عفا الله عنه كما في بقية الكبائر وهو في المشيئة[5]. فالله أعلم كيف يكون الحال.

أما في الدنيا فوضع شارب الخمر خطير إن لم يتب من شربها مطلقًا، فالله -عزَّ وجلَّ- لا يرضى عن شارب الخمر أربعين ليلة، فإن مات مات كافرًا[6]، والخمر

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧٢١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٥) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٠/٣٢-٣٣.

(٦) وقد سئل سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله عن هذا فقال: هذا من باب الوعيد ويكون كفرًا أصغر إلا إذا استحل شرب الخمر فيكون كفرًا أكبر.

تصد عن ذكر الله وعن الصلاة بل وإن صلَّى الإنسان فإن الله -عزَّ وجلَّ- لا يتقبل منه صلاة أربعين صباحًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال**». قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار[1]. فالذي لا يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا بسبب شربه الخمر ومع ذلك يصر على إدمانها فهو كما وصف رسول الله ﷺ: «**مدمن الخمر كعابد وثن**»[2].

أما عن عقابه وإقامة الحد عليه فقد شرع النبي ﷺ وتشريعه تشريع لرب العالمين: «**من شرب الخمر فاجلدوه، ثم إن شرب فاجلدوه، ثم إن شرب فاقتلوه**»[3]، فهذا ما يستحقه شارب الخمر، إلا أن القتل قد رُفع وبقي الجلد، وهو أربعين جلدة.

يغضب الله على المنافقين والمنافقات[4]

قال الله تعالى: ﴿ **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾[5].

النفاق: هو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار. وعملي: وهو من أكبر الذنوب؛ لأن

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥١٧.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧٢٠.

(٣) صحيح سنن النسائي، رقم: ٥٢٣٢.

(٤) راجع تفسير الآيات الواردة في هذا الموضوع في كتب التفسير: ابن كثير، القرطبي، الطبري.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٦.

المنافق يخالف قولُه فعله، وسره علانيَتَه، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه، وهو ليس مخرجًا من الملة، ويمكن أن يكون وسيلة إلى النفاق الاعتقادي.

المنافقون: المنافقون هم الذين يدخلون في الإسلام من وجه، ويخرجون عنه من آخر، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. ذكر الله في سورة البقرة أربع آيات في وصف المؤمنين، ثم آيتين في تعريف حال الكافرين، ثم ثلاث عشرة آية في تعريف حال المنافقين. ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس، أطنب في ذكرهم بصفات متعددة، كلٌ منها نفاق، كما أنزل سورة (براءة) وسورة (المنافقين) فيهم، وذكرهم في سورة (النور) وغيرها من السور، تعريفًا لأحوالهم لتُجتَنَبَ ويُجتنب من تلبَّس بها أيضًا. والمنافقون هم أخطر على المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم، وتأتي خطورتهم لكونهم يقيمون بين أظهر المسلمين، ويتكلمون بلغتهم، ويتسمون بأسمائهم، وهم محسوبون على المسلمين، ويتحدثون باسمهم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾[1]. وهم الذين ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ** ﴾[2]. وهم الذين: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ** ﴾[3].

وهم المنافقون الذين ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[4]. يقولون للمؤمنين: آمنا، نفاقًا ومصانعة وتقية، وإذا انصرفوا وخلصوا إلى شياطينهم الذين هم سادتهم وكبراؤهم، وأصحابهم من اليهود والنصارى الذين يأمرونهم

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٨-١٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١١-١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٤-١٥.

بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ، قالوا: إنَّا على مثل ما أنتم عليه، إنما نستهزئ بالمسلمين. ولم يعلموا أن الله تعالى يسخر بهم للنقمة منهم، وفي ضلالتهم وكفرهم يترددون حيارى، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم، وختم عليها، وأعمى أبصارهم عن الهدى فلا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلاً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[1].

وهم المنافقون الذين نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذهم بطانة وأنه ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[2]. والمنافقون بجهدهم وطاقتهم يسعون في مخالفة المؤمنين وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة؛ ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم. وقد لاح على صفحات وجوه المنافقين وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل.

وهم المنافقون الذين أخبر الله تعالى المؤمنين عنهم: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾[3]. وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين جدب أو أديل عليهم الأعداء - لما لله تعالى في ذلك من الحكمة - فرح المنافقون بذلك. وقال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾[4]. أعلم الله تعالى نبيه ﷺ بعداوة هؤلاء له؛ لأنه مهما أصابه ما يسره ويسر أصحابه ساءهم ذلك، وإن أصابته مصيبة يقولوا: قد احترزنا من متابعته من قبل هذا، ويتولوا وهم فرحون؛ ولهذا أرشد الله تعالى إلى جوابهم في عداوتهم التامة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٠.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين: شهادة أو ظفر بكم؟ ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا بسبي أو قتل.

وهم ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2]. وهم: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3]. إن أصاب المؤمنين قتل وشهادة، يقول المنافق: قد أنعم الله عليَّ إذا لم أحضر معهم وقعة القتال، يعد ذلك من نعم الله عليه، ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل، ولئن أصابهم نصر وظفر وغنيمة، ليقولن كأنه ليس من أهل دينهم: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا بأن يُضرَب لي بسهم معهم فأحصل عليه، وهو أكبر قصده وغاية مراده.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]. يخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم ينتظرون زوال دولة المؤمنين وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم، فإن كان للمسلمين فتح من الله، أي؛ نصر وتأييد وظفر وغنيمة: يتوددون إلى المؤمنين بقولهم: ألم نكن معكم؟ وإن كان للكافرين إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان، قالوا للكافرين: ساعدناكم في الباطن وما ألوناهم خبالاً وتخذيلاً حتى انتصرتم عليهم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[5]. بعد أن نهى الله - تبارك وتعالى- عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله، وبيَّن أن

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٢-٧٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٤١.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٢.

مَن يتولهم من المسلمين فإنه منهم، أخبر عزَّ وجلَّ عن المنافقين الذين في قلوبهم شك وريب ونفاق، أنهم يبادرون إلى موالاة اليهود والنصارى ومودتهم في الباطن والظاهر، ويتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. قال تعالى: ﴿ **تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[1].

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾[2]. بيَّن الله تعالى أن هؤلاء المنافقون يودون للمسلمين الضلالة ليستووا هم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لهم؛ ولهذا نهى الله تعالى المسلمين عن أن يتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله، فإن تركوا الهجرة وأظهروا كفرهم؛ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا توالوهم ولا تستنصروا بهم على أعداء الله ما داموا كذلك.

وهم ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[3]. فهذه صفة أخرى من صفات المنافقين وهي أنه لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، وإن جاء أحد فتصدق بمال جزيل قالوا: هذا مراء، وإن جاء فتصدق بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا. وهم ﴿ **وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾[4]. فهذه عادة المنافقين أنهم ينفقون أموالهم رياء، والرياء من صفة أهل النفاق. وقد أخبر الله تعالى أنهم مهما أنفقوا من نفقة

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠-٨١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٨.

طائعين أو مكرهين لن يتقبل منهم؛ لأنهم كفروا بالله وبرسوله، والأعمال إنما تصح بالإيمان.

وهم المنافقون الذين ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾[1]، إنهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها، مع أنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[2]، بيَّن الله - سبحانه وتعالى - صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي (الصلاة)؛ إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها، وهذه صفة ظواهرهم، أما صفة بواطنهم الفاسدة، فهم يراؤون الناس، فلا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقيَّة لهم ومصانعة؛ ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبًا؛ مثل: (صلاة الفجر والعشاء)، وهم مذبذبين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، ولا مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى أولئك.

وهم المنافقون الذين أخبر الله تعالى عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم، أنهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[3]، فهم لو يجدون حصنًا يتحصنون به وحرزًا يتحرزون به، أو مغارات، أو سراديب وأنفاق؛ لولوا إليه وهم يسرعون في ذهابهم عنكم؛

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٤٢-١٤٣.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٥٦-٥٧.

لأنهـم إنما يخالطونكم كرهًا لا محبة، وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأن الإسـلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة؛ فلهذا كلما سر المسلمون ساءهم ذلك فهو يودون ألا يخالطوا المؤمنين.

وهـم المنافقون الذين قال اللـه تعالى عنهم: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[1]، كان المنافقون يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرنا هذا، فقال الله تعالى: ﴿ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾، أي؛ إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2]. فهؤلاء المنافقون جعلوا الدين وأهله مادة للضحك والاستهزاء. قال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[3].

وهـم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[4].

وهـم المنافقون الذين قـال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٦.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٦٧-٦٨.

(٥) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى لرسوله ﷺ عنهم: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2].

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ من قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[3]. لقد وصل الأمر بالمنافقين إلى أن يبنوا مسجدًا للتآمر على المسلمين، وحلفوا أنهم ما أرادوا إلا خيرًا ، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما قصدوا وفيما نووا، ونهى الله تعالى رسوله ﷺ والأمة تبع له في ذلك عن أن يصلي فيه أبدًا. فأن يبني المنافقون (مسجدًا) ضرارًا وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، فهم أولى أن يبنوا أو يخصصوا معاقل وأندية وجمعيات ومحافل وغير ذلك للتآمر على المسلمين، والتخطيط لإضلالهم وإفسادهم وإبعادهم عن دينهم وبث الفرقة بينهم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[4]. يخبر الله تعالى عن صفات المنافقين الذين يقولون قولاً بألسنتهم: آمنا بالله وبالرسول وأطعنا، ثم يخالفون أقوالهم بأعمالهم. وإذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله؛ أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاؤوا سامعين مطيعين، وإذا كانت الحكومة عليهم أعرضوا ودعوا إلى غير الحق، وأحبوا أن يتحاكموا إلى غير النبي ﷺ ليروجوا

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة النور، الآيات: ٤٧-٤٩.

باطلهم ثَمَّ، فإذعانهم أولاً لم يكن عن اعتقاد منهم أن ذلك هو الحق؛ بل لأنه موافق لهواهم؛ ولهذا لما خالف الحق قصدهم عدلوا عنه إلى غيره.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا** ﴾[1]. إذا نزلت بالمسلمين نازلة حينئذ يظهر النفاق ويتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم، أما المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة تنفس بما يجده من الوسواس في نفسه، لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. ويخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين ﴿ **يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا** ﴾[2] أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعًا، وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع. وهذا ذم لهم في غاية الذم. ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غرة، وإذًا لا يُمَتَّعون إلا قليلاً بعد هربهم وفرارهم. فمن ذا الذي يمنعهم من الله إن أراد بهم سوءًا أو أراد بهم رحمة، وليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا مغيث.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾[3]. يخبر الله تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم من شهود الحرب، وهم مع ذلك لا يأتون البأس إلا قليلاً، بخلاء بالمودة والشفقة والغنائم على المؤمنين، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت من شدة خوفه وجزعه؛ وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال. فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٨-١٩.

وهـم المنافقون الذين مـن صفاتهم الإرجاف، فيقولون: جـاء الأعداء وجاءت الحـروب! وهو كـذب وافتراء. وهم الذين مـن صفاتهم البلادة وقلـة الفهم، وإذا اسـتمعوا إلى العلم لا يفهمون منه شـيئًا، تهاونًا منهم بما يسمعون من العلم. وهم الذين من شـأنهم الارتـداد ومفارقة الإيمان والرجوع إلـى الكفر، والذين يطيعون أهل الشرك والكفر ويمالؤونهم ويناصحونهم على الباطل، والله -عزَّ وجلَّ- يعلم ما يسرون وما يخفون فيما بينهم في مخالفة الإسلام، والتظاهر على عداوته، والقعود عن الجهاد في سـبيل الله، وتوهين أمر الدين في السـر، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها. وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿ **أَمْ حَسِـبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ** ﴾[1]. أي؛ أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشـف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمه ذوو البصائر. وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة التوبة فبين فيها فضائحهم؛ ولهذا كانت تسمى الفاضحة، والأضغان هو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره. وليعرفنَّهم المسلمون فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، كما قيل: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه.

وهـم المنافقون الذين قال الله تعالى لرسـوله ﷺ عنهم: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾[2]. يقـول الله -عزَّ وجـلَّ- مخبرًا عن المنافقين، إنهم إنما يتفوهون بالإسـلام ظاهرًا، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، والله يشهد إن المنافقين لكاذبـون فيما أخبروا بـه؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة مـا يقولون ولا صدقه؛ ولهذا كذَّبهم بالنسـبة إلى اعتقادهم. إذا رأيت هؤلاء المنافقين تعجبك أجسـامهم، وإن يقولوا تسـمع لقولهم؛ لأنهم ذوو أشـكال حسـنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع، كلما وقع أمر أو خوف، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم، فهم أجسـام

(١) سورة محمد، الآية: ٢٩.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١.

وصـــور بلا معاني، وهم العدو فاحذرهـــم قاتلهم الله كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال.

وهـــم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[١]. يخبر الله -عزَّ وجلَّ- عن المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في الســـر؛ ولهذا قال: ﴿ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ الذين هم من أهل الصلاة ثم هم عنها ســـاهون. ثم قـــال الله -عزَّ وجلَّ- عنهـــم: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُـــرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾[٢]، أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى.

وهـــم المنافقون الذين قال صحابة رســـول الله ﷺ عنهم أنهـــم يتخلفون عن صلاة الجماعة في المسجد، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف**»[٣]. وهم المنافقون الذين قال رســـول الله ﷺ عنهم: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشـاء**»[٤]. وهم المنافقون الذين قال رســـول الله ﷺ عنهم: «**مَن ترك ثلاث جمعات، من غير عذر، كُتب من المنافقين**»[٥].

وهـــم المنافقـــون الذين قال رســـول اللـــه ﷺ عنهـــم: «**أربع مـــن كن فيـــه كان منافقًـــا خالصًـــا. ومن كانت فيه خلـــة منهن كانت فيه خلة من نفـــاق. حتى يدعها: إذا حـــدَّث كـــذب. وإذا عاهـــد غـــدر. وإذا وعـــد أخلـــف. وإذا خاصـــم فجـــر**»[٦]، وقـــال ﷺ: «**آيـــة المنافـــق ثـــلاث: إذا حدث كـــذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خـــان**»[٧]، وقال عليه الصلاة والســـلام: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[٨]. فهذه الخصال خصال

(١) سورة الماعون، الآيتان: ٤-٥.

(٢) سورة الماعون، الآيتان: ٦-٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب: فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل العشاء في الجماعة.

(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦١٤٤.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق.

نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، وقوله: «**كان منافقًا خالصًا**»، معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾[1]. يخبر الله تعالى عن مصير المنافقين يوم القيامة بأنهم في الدرك الأسفل من النار جزاءً على كفرهم الغليظ، ولن يجدوا لهم نصيرًا ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب.

غضب الله على اليهود[2]

قال الله تعالى عن اليهود: ﴿ **الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** ﴾[4].

اليهود: اليهود هم الذين تطاولوا على ربهم وخالقهم فقالوا بأنه فقير، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ** ﴾[5]. وقالوا بأنه بخيل، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾[6]. وقد رد الله -عزَّ وجلَّ- عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه فقال: ﴿ **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا** ﴾[7]؛ وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم. هذا قولهم في الله، وهذه معاملتهم رسل الله، وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾[8].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٢) راجع تفسير الآيات الواردة في هذا الموضوع في كتب التفسير: ابن كثير، القرطبي، الطبري.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٨) سورة آل عمران، الآيتان: ١٨١-١٨٢.

وهم اليهود الذين أنجاهم الله من فرعون وجيشه بمعجزة باهرة من فرق البحر وعبورهم خلاله بسلام، ورؤيتهم لقدرة الله وعظيم سلطانه، فما وصلوا إلى الضفة الأخرى للبحر، حتى طلبوا من نبيهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنمًا آلهة!. وهم الذين ظلَّل الله تعالى عليهم السحاب الذي يستر عنهم حر الشمس. وأنبع الماء لهم بضرب موسى عليه السلام حجرًا بالعصا فتفجَّرَ منه اثنتا عشرة عينًا. وأنزل عليهم المنَّ والسلوى من السماء، طعامين شهيين، بلا كُلْفَةٍ، فما قاموا بشكر هذه النعم، بل ضجر كثير منها، وقالوا لنبيهم موسى عليه السلام: لن نصبر على طعام واحدٍ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثَّائها وفومها وعدسها وبصلها، فقرَّعهم الكليم، ووبخهم، وعنَّفهم، وأنَّبهم على هذه المقالة.

وهم اليهود الذين أمرهم نبيهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة والقتال فقالوا له: يا موسى إنَّا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون، فعاقبهم الله على نكولهم بالتيهان في الأرض أربعين سنة، يسيرون إلى غير مقصد، ليلاً ونهارًا، وصباحًا ومساءً، لا يهتدون للخروج منه.

وهم اليهود الذين كان معهم موسى صلى الله عليه وسلم، كليم الله ورسوله إليهم، ورأوا معجزات الله الباهرة المتنوعة المتعددة، ومع كل ذلك فما غاب عنهم موسى قليلاً لينـاجي ربه حتى اتخذوا من بعده عجلاً، فتوعدهم رب الأرباب بغضب منه وذلَّة، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ** ﴾[1]. أما (الغضب) الذي نال اليهود في عبادة العجل، فهو أن الله تعالى وضع لهم شرطًا للتوبة عليهم وهو أن يقتل بعضهم بعضًا، فأمرهم موسى عن أمر ربه فقال عليه السلام: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾[2]؛ فاخترطوا السيوف والسكاكين، وجعل بعضهم يقتل بعضًا؛ حتى تاب الله عليهم. وأما (الذلة) فأعقبهم ذلك ذلاً وصغارًا في الحياة الدنيا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

وهم اليهود الذين تابوا من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض، ثم لم يلبثوا أن قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً! فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، فماتوا عقوبةً لهم وجزاءً وفاقًا على ما طلبوا. وهم الذين أمرهم نبيهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة؛ فأخذوا يجادلونه ويتعنتون عليه، ويشددون على أنفسهم فشدَّد الله عليهم. وهم الذين يقول الله توبيخًا لهم وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آياته وإحيائه الموتى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾[1]. إن قلوبهم كالحجارة التي لا تلين أبدًا، ولا علاج للينها، أو أشد قسوة من الحجارة.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ** ﴾[2]. فقد أمرهم الله تعالى أن يدخلوا القرية وهم سجَّدًا وأن يقولوا: (حِطَّة)، أي؛ حط عنا ذنوبنا وخطايانا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حبة في شعرة، أو (حنطة في شعيرة)؛ وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بخروجهم عن طاعته.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾[3]. فقد كفروا بآيات الله، وأهانوا حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم! فلا كفر أعظم من هذا؛ فجازاهم الله بما يستحقون من الذِّلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾[4]. فقد عصوا أمر الله، وخالفوا عهده وميثاقه، فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره. وهم الذين قال الله -عزَّ وجلَّ-

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

عنهم: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾[1]. توعَّد الله ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة مَن يسومهم سوء العذاب بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم؛ فكانوا في قهر الملوك من اليونانيين، والكشدانيين، والكلدانيين، والفرس، والرومان، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ، فكانوا تحت قهره وذمته. وقطعهم الله في الأرض أممًا، وسامهم سوء العذاب أينما حلوا في البلاد على أيدي أهل تلك البلاد وحكامها.

وهم اليهود الذين أخذ الله ميثاقهم لا يعبدون إلا الله، وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين، وأن يقولوا للناس حسنًا، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ ثم تولوا إلا قليلاً منهم وهم معرضون. وهم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض. وهم الذين كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ففريقًا كذبوا وفريقًا قتلوا. وقالوا: قلوبنا غلف لا تعي ولا تفقه، ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وهم اليهود الذين قالوا مقالة شنيعة، قال عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾[3]. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وقد كذبهم الله سبحانه، فقال: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[4]. وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[5]. إن كثيرًا من الأحبار وهم علماء اليهود، ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وأخذوا الربا وقد نهوا عنه.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦٧-١٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣١.

وهم اليهود الذين نهى الله تعالى المسلمين أن يكونوا مثلهم، الذين آذوا موسى عليه السلام في شخصه فلم يفلت هو نفسه منهم، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا** ﴾[1]. فقد كان موسى عليه السلام، رجلاً حييًّا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده: إما برص، وإما أدرة، وإما آفة. فبرأه الله مما قالوا.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا** ﴾[2]. لقد افترى اليهود على مريم البتول الطاهرة عليها السلام ورموها بالزنا. ولم ينج ولدها منهم كذلك؛ قال تعالى: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ** ﴾[3]. فقد حسدوا عيسى عليه السلام على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، إلى أن خططوا لصلبه وقتله، فأنجاه الله منهم برفعه إليه بعد أن ألقى شبهه على غيره فأخذوا شبيهه وصلبوه، وهم يظنون أنهم صلبوا المسيح.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾[4]. لعن داود عليه السلام اليهود، وكذلك لعنهم عيسى عليه السلام، وكان يناديهم: (أيُّها الحيّاتُ أولادَ الأفاعي! كيفَ ستَهرُبونَ مِنْ عِقابِ جَهنَّمَ؟)[5].

وهم اليهود الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[6]. فقد أُعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ثم لم يعملوا بها، مثلهم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٦.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٨.
(٥) متى: ٢٣/٣٣.
(٦) سورة الجمعة، الآية: ٥.

فـــي ذلك كمثل الحمار إذا حمل كتبًـــا لا يدري ما فيها. وهم الذين أخبر الله تعالى أنـــه بلَّغهم في التوراة عن صفـــات النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـــولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِـــي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِـــلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَـــعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾[1]. هذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشـــروا أممهم ببعثه وأمروهـــم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم، ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾[2]. فقد علموا الحق وعدلوا عنه، ولما بعث الله رسوله من العرب، ورأوه من غيرهم، كفروا به وحسدوه وجحدوا ما كانـــوا يقولون فيه بأنه مبعوث ويصفونه بصفته، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وهم الذين كفروا بما أنزل الله على محمد ﷺ بغيًا وحسدًا، وقالوا: نؤمن بما أُنزل علينـــا، ويكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التـــوراة ولا نقر إلا بذلك، ويكفرون بما بعده، فقال تعالى تعييرًا لهم: ﴿ **قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾؟[3].

وهـــم اليهود الذين جحدوا رســـول الله ﷺ، وحين ذكَّرهـــم رجل منهم ما أُخذ عليهـــم مـــن الميثاق، وما عُهد إليهـــم في محمد ﷺ، قالوا: واللـــه ما عهد إلينا في محمـــد، وما أُخذ علينا ميثاقٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿ **أَوَ كُلَّمَـــا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُـــمْ بَلْ أَكْثَرُهُـــمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾[4]، فليس في الأرض عهـــد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم وينقضون غدًا. وهم الذين قال الله تعالى عنهم لنبيه محمد ﷺ: ﴿ **وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ** ﴾[5]، أي؛ ولا تزال تطلع من اليهود علـــى الغدر والخيانة، ومكرهم وغدرهم لك ولأصحابك، وتمالؤهم على الفتك بك. وهم اليهود الذين قال الله تعالى لهم توبيخًا وتقريعًا: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾[6]. فقد كان الرجل من اليهود يقول لصهره

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٠.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

ولذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين أن يثبت على ما يأمره به رسول الله ﷺ؛ لأن أمره حق، ولا يفعله هو. وكان الأحبار يأمرون أتباعهم باتباع التوراة، وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمد ﷺ. وكانوا يحضون على طاعة الله، وكانوا هم يواقعون المعاصي.

وهم اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام فيها حلالاً، والحلال فيها حرامًا، والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقًا اتباعًا لأهوائهم. يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يزعمون أنه من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلاً. إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، إنَّ صاحبكم رسول الله، وإذا خلا بعضهم إلى بعضٍ قالوا: لا تحدِّثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصموكم. فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم.

وهم اليهود الذين ادعوا دعاوى باطلة، كقولهم: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة. فردَّ الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ **قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[1]. وقولهم: لن يدخل الجنة إلا مَن كان هودًا أو نصارى، فقال تعالى: ﴿ **تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[2]، وقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه؛ قال الله تعالى رادًّا عليهم: ﴿ **قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ** ﴾[3]. وهكذا أكذبهم الله -عزَّ وجلَّ- وألزمهم الحجة فقال لنبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[4]. فالحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾[5].

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٤.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٩٥-٩٦.

وهم اليهود الذين أخبر الله عن حسدهم للمؤمنين وعن مخططاتهم ضدهم، فقال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾[1]. وهم الذين كشف الله -عزَّ وجلَّ- لرسوله ﷺ، ما يضمرونه ضده وضد أمته، فقال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾[2]. أي؛ ليس غرضهم بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم. وليسوا براضين عنك أبدًا.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم مخبرًا عباده المؤمنين المسلمين، ومبشِّرًا لهم: ﴿ **لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ** ﴾[3]. وهم الذين كشف الله تعالى أقوالهم ونواياهم ومكائدهم للمسلمين ولدينهم، فقال تعالى: ﴿ **وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[4]. وهذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم لعلهم يرتدون، وهم الذين كشف الله تعالى سرهم وعقيدتهم في الحياة، ومبدأهم الذي لا يتخلوا عنه أبدًا، فحكى عزَّ وجلَّ قولهم: ﴿ **وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ** ﴾[5]، أي؛ لا تصدقوا إلا من تبع دينكم فكان يهوديًا، ولا تطمئنوا أو تظهروا سركم وما عندكم إلا لليهود.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى لرسوله ﷺ عنهم: ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[6]. يحذر الله المؤمنين من الاغترار باليهود، ويخبر بأن منهم الخونة الذين إن تأمنهم بدينار لا يؤدوه إليك، وإذا كان هذا صنيعهم في

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

الدينار، فما فوقه أولى ألا يؤدوه إليك، وإنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال العرب، فإن الله قد أحلها لنا.

وهم اليهود الذين كانوا يفضلون الكفار على المسلمين، وكان سادتهم يقولون للمشركين في مكة عن رسول الله ﷺ: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه. فقال الله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾[1]. وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم.

وهم اليهود الذين نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاتهم، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2]. وهم الذين كشف الله استهزاءهم بالدين، ونهى المؤمنين عن اتخاذهم أولياء، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾[4].

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[5]. وهم الذين أخبر الله رسوله ﷺ عنهم أنهم: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾[6]. أي؛ كلما عقدوا أسبابًا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورًا يحاربونك بها، أبطلها الله، ورد كيدهم عليهم، وحاق مكرهم السيئ بهم. وهم الذين قال عنهم خالقهم وباريهم، الذي يعلم سرهم وجهرهم، إنهم: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[7]. أي؛ من سجيتهم أنهم

(١) سورة النساء، الآية: ٥٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٧.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٨.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٠.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

دائمًا يسعون في الإفساد في الأرض فسادًا، ومن أعظم الفساد سعيهم في إبطال الإسلام. وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوًّا كبيرًا، فيتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ** ﴾[1]. ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود، ومباهتة للحق، وغمط للناس، وتنقص بحملة العلم؛ ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء، حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وسمُّوه وسحروه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين.

وهم اليهود الذين كشف الله للمؤمنين حقيقتهم، فقال تعالى: ﴿ **لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ** ﴾[2]، أي؛ يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، ثم قال تعالى: ﴿ **لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ** ﴾[3]، يعني؛ أنهم من جبنهم وهلعهم، لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام، بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين، ثم قال تعالى: ﴿ **بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ** ﴾[4]، أي؛ عداوتهم فيما بينهم شديدة، تحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف. وهم الذين كشف الله -عزَّ وجلَّ- سرهم وجهرهم لرسوله محمد ﷺ، حيث كانوا يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وإذا جاؤوا النبي ﷺ حيوه بما لم يحيه به الله، فيقولون له: السام عليكم. و(السام) هو الموت.

وهم الذين أيأس الله تعالى رسوله والمؤمنين أن يدخلوا في دين الإسلام أفواجًا، بل لم يدخل في الإسلام منهم سوى أفراد قليلون من اليهود العاديين، فما بالك بعدد مَن يمكن أن يسلم من الأحبار والعلماء؟! لهذا يقول رسول الله ﷺ: «**لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود**»[5]. وفي رواية أخرى: «**لو تابعني عشرة**

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٣.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة.

من اليهود، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم»[1]. والمقصود عشرة من أحبارهم وزعمائهم، وإلا فقد آمن بالنبي ﷺ وأسلم أكثر من ذلك. فلو أسلم عشرة من هؤلاء الذين يعنيهم النبي ﷺ لأسلم اليهود جميعًا اتباعًا لهم.

وهم اليهود الذين كشف الله تعالى مصيرهم في الآخرة على لسان نبيه ورسوله محمد ﷺ الذي قال: «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به، إلا كان من أصحاب النار**»[2]. في هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ. وكل من يسمع بالنبي ﷺ ممن هو موجود في زمنه وبعده إلى يوم القيامة، يجب عليه الدخول في طاعته. وهم الذين كشف الله بواطنهم لرسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى فأخبر عنهم: «**ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[3]، فإن يحسدوهم على ما هو أكبر من ذلك أولى.

وهم اليهود الذين أخبر الله تعالى عنهم أنهم سيكونون في آخر الزمان في معسكر الكفر والشر مع الدجال الذي يدعي الألوهية، في مواجهة معسكر الإيمان والخير بقيادة عيسى عليه السلام ومن معه من المسلمين، وسيقتل الله الدجال واليهود على أيدي رسوله عيسى عليه السلام والمسلمين. وهو ما أخبر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ به أنه سيقع في مستقبل الزمان، قال عليه الصلاة والسلام: «**قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلًّى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء. وينطلق هاربًا، ويقول عيسى: إن لي فيك ضربةً لن تسبقني، فيدركه عند باب لُدٍّ الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: نزل أهل الجنة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٦٩٧.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧٨٧٥.

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود. فيقتلهم المسلمون. حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي. فتعال فاقتله. إلا الغرقد. فإنه من شجر اليهود**»[1].

فبالرغم من نزول عيسى عليه السلام وقيامه بكسر الصليب، وقتل الخنزير، والحكم بالإسلام وإبطال كل دين غيره، إلا أن اليهود أبوا إلا أن يسيروا في طريق الكفر والشر والفساد حتى آخر الزمان.

هذه هي نتيجة المواجهة الأخيرة والحرب بين عيسى عليه السلام والمسلمين من جهة، وبين الأعور الدجال واليهود من جهة أخرى، وهي انتصار عيسى عليه السلام والمسلمين على الدجال واليهود ومَن حالفهم أو انضم إليهم في هذه الحرب؛ هذه الحرب التي حاول اليهود ومَن حالفهم بكل ما أوتوا من قوة ونفوذ وتسلط دنيوي أن يتجنبوا وقوعها، عن طريق محاربة أي توجه إسلامي حقيقي وأصيل في أي بلدٍ على وجه الكرة الأرضية، والعمل على اجتثاثه من جذوره، أو تدمير مسبباته؛ مع ما يُرتَكب في سبيل ذلك في حق المسلمين من ظلمٍ وعدوانٍ وانتهاكاتٍ صارخةٍ لأبسط حقوق الإنسان، ومع ما يقع من مجازر وسفك دماء المسلمين دون هوادة أو رحمة أو شفقة على شيخ كبير أو طفل صغير، أو امرأة ضعيفة، أو مريض عاجز... أو حاولوا على الأقل أن يعكسوا نتيجة هذه الحرب والمواجهة الأخيرة ظنًّا منهم أنهم هم قوى الخير، وأن المسلمين هم قوى الشر، ولكن يكفي ليُعرَف أن المسلمين هم أهل الإيمان وقوى الخير أنهم هم الذين سيكونون مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ولا يمكن لإنسان واحد أن يخطأ فيظن أن عيسى عليه السلام هو من أهل الكفر وقوى الشر، بل إن مَن يظن هذا الظن السيئ في عيسى عليه السلام فهو كافر مرتد.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

يغضب الله على المرتد عن دينه

قال الله تعالى: ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[1].

المرتد عن دينه: المرتد عن دينه هو الذي آمن بالله ثم كفر وشرح بالكفر صدرًا، أي: أتى الكفر على اختيار واستحباب، واعتقده وطابت به نفسه، وآثره على الإيمان وباح به طائعاً.

وهو المرتد عن دينه الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ **وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[2].

وهو المرتد عن دينه المبدل له الذي قال رسول الله ﷺ عنه: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»[3].

وهو المرتد عن دينه الذي يشرح بالكفر كتابًا، أو مقالة صحفية، أو برنامجًا تلفازيًا أو إذاعيًا؛ فيتهجم على الله ويستهزأ به، تعالى الله عما يقول علوًّا كبيرًا، أو يستهزأ بالنبي محمد ﷺ ويصفه بصفاتٍ سيئةٍ، أو يتهجم على دين الإسلام.

لقد أخبر الله تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به، أنه قد غضب عليه لعلمه بالإيمان ثم عدوله عنه، وأن له عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة؛ لأنه استحب الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدم على ما أقدم عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلبه ويثبته على الدين الحق، فطبع على قلبه، فهو لا يعقل به شيئًا ينفعه، وختم على سمعه وبصره فلا ينتفع بها، فهو غافل عما يراد به؛ فلا بد ولا عجب أن من هذه صفته، أنه في الآخرة من الخاسرين

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم.

الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[1]، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

وهدد الله -عزَّ وجلَّ- المؤمنين وتوعدهم أنهم إذا ارتدوا عن دينهم فسوف يستبدل قومًا غيرهم يحبهم ويحبونه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[4].

وحماية للمؤمنين من الارتداد عن دينهم فقد قطع المولى جلَّ وعلا الطرق الموصلة إلى ذلك؛ فحذَّرهم سبحانه من طاعة اليهود والنصارى الذين يعملون جاهدين لكي يردوهم بعد إيمانهم كافرين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[6]. فلا أمان في صداقة أهل الكتاب؛ لأنهم يفتنوا مَن صادقهم عن دينه.

ونهاهم سبحانه أيضًا عن موالاة اليهود والنصارى واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، فقال جلَّ وعزَّ: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٦٠٩.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٠٧-١٠٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

﴿الْمَصِيرُ﴾[1]. ونفى سبحانه أن يكون لهؤلاء الكفار أي عزة؛ لأن العزة لله جميعًا، وقال تعالى منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2].

نعم...! إن العزة كلها له وحده لا شريك له، ولمن جعلها له، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[4]. والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله، والإقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النصرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ونهى الله - تبارك وتعالى - المؤمنين عن الجلوس مع مثل هؤلاء الكفار المرتدين عن دينهم، إذا ما أخذوا يستهزئون بالدين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[5]، أي؛ إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، ولم تقوموا عنهم في تلك الحال؛ فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، وصرتم مثلهم في المأثم؛ لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم، وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله، فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذا مثلهم في ركوبكم معصية الله، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، أي؛ كما أشركوهم في الكفر، كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدًا، ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والغسلين[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٦) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٨٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

يغضب الله على قاتل المؤمن

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

يهدد الله - تبارك وتعالى - تهديدًا شديدًا، ويتوعد وعيدًا أكيدًا لمن ارتكب هذه الجريمة الشنيعة، وهذا الذنب العظيم، الذي قرنه المولى جلَّ وعلا بالشرك بالله في أكثر من آية في كتابه العزيز، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[3].

لقد حرَّم الله القتل، إلا إذا كان قصاصًا أو حدًّا من حدود الله. وأول ما يقضى يوم القيامة في الدماء، قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة، في الدماء**»[4]، وهذا فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة. وهذا لعظم مفسدة سفكها، وكثير خطرها. وقال النبي ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**»[5]. وقال ﷺ: «**لو أنَّ أهلَ السَّماءِ وأهلَ الأرضِ اشتركوا في دمِ مؤمنٍ لأكبَّهُم اللّهُ في النَّارِ**»[6]. وذلك لأن القتل من أخطر الأشياء شرعاً، وأقبحها عقلاً؛ لأن الإنسان مجبول على محبة بقاء الصورة الإنسانية المخلوقة في أحسن تقويم.

المتعمد قتل المؤمن: المتعمد قتل المؤمن هو كل مَن قتل نفسًا بحديدة كالسيف والخنجر ونحو ذلك من الآلات الحادة المشحوذة المعدة للقطع، أو بما يعلم أن فيه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: المجازاة بالدماء في الآخرة.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١١٢٦.

(٦) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١١٢٨.

المـوت من الحجارة الثقيلة ونحوها، والسـم ونحوه، والعصا ونحوها، والمسـدس ونحوه من الأسلحة النارية.

وهو المسلم الذي يقتل أخاه المؤمن وليس له ذلك بوجه من الوجوه، كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»[1]. ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه.

وهو الذي يقتل المسلم لا لشيء سوى لأنه مسلم مؤمن يقول: ربي الله، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[2]، أي: ما فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلا من أجل أنهم آمنوا بالله، وما كان لهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الحميد. ويعاقب الله -عزَّ وجلَّ- هذا القاتل بأربعة أنواع من العقوبات: الخلود في جهنم[3]، وغضب الله عليه، ولعنه، وأعد له عذابًا عظيمًا، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾. وقال رسول الله ﷺ: «**يجيء الرجل آخذًا بيد الرجل، فيقول: يا ربِّ هذا قتلني، فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول: فإنها لي. ويجيء الرجل آخذًا بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلني؟ فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه**»[4].

وهو الذي يقتل نفسه بأي وسيلة من الوسائل، وقد نهى الله -عزَّ وجلَّ- عن ذلك: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾[5]. أي: ومن يرتكب ما نهاه الله عنه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس...﴾.

(٢) سورة البروج، الآية: ٨.

(٣) إن كان القاتل كافرًا فهو مخلد في النار، وإن كان القاتل مسلمًا فهو تحت مشيئة الله تعالى؛ إن شاء غفر له بأسباب كثيرة أعظمها رحمة الله، وإن شاء عذبه في النار إلى أجل.

(٤) صحيح سنن النسائي، رقم: ٣٧٣٢.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ٢٩-٣٠.

عدوانًا وظلمًا ﴿ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾؛ وهذا تهديد شديد من رب العالمين، ووعيد أكيد من مالك يوم الدين. قال رسول الله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. ومن شرب سمًّا فقتل نفسه، فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «**كان برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة**»(٢).

ومن رحمة الله الواسعة أنه تعالى لم يغلق باب التوبة في وجه القاتل، بل باب التوبة مفتوح له ولغيره، حتى للكافر والمشرك. فالقاتل له توبة فيما بينه وبين الله -عزَّ وجلَّ-، فإن تاب وآمن، وعمل عملاً صالحًا بدَّل الله سيئاته حسنات، وعوَّض المقتول من ظلامته وأرضاه عن ظلامته. قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾(٤). وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك، كل من تاب تاب الله عليه، قال الله جلَّ وعلا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾(٥). فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك. وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ، أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأما من مات كافرًا فالنص أن الله لا يغفر له البتة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قاتل النفس.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨-٧٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

يغضب الله على المتوليِّ يوم الزحف

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[1].

الزحف: هو الحرب مع الكفار، والمشي إلى العدو.

التولي: أصله الانصراف عن الشيء، وهو الإعراض والإدبار، أي: الفرار يوم الجهاد. قال ابن عطية: والأدبار جمع دبر. والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة؛ لأنها بشعة على الفار، ذامة له.

المتولي يوم الزحف[2]: المتولي يوم الزحف هو المدبر والفار يوم الجهاد ولقاء العدو في الحرب، والمتولي هاربًا من وجوه الكفار. وأشد منه ما لو دل الكفار على عورة المسلمين، عالمًا بأنهم يقتلونهم ويسبون نساءهم.

نهى الله تعالى المسلمين عن الفرار من وجوه الكفار يوم المعركة ولقاء العدو، وحرَّم على المؤمنين ذلك حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار، أنه إذا تدانيتم وتقاربتم منهم فلا تعطوهم أدباركم، ولا تفروا عنهم وتتركوا أصحابكم. ومن يفعل ذلك فقد رجع بغضبٍ من الله، ومصيره يوم ميعاده جهنم وبئس المصير، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فرَّ من الزحف**»[3].

واستثنى الله -عزَّ وجلَّ- من ذلك أن يكون المسلم فارًّا أو منسحبًا لمكيدة وخدعة حربية، ليكر عليهم مجددًا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾، أو لينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم، أو يستعين بفئة أخرى من المسلمين يعاونهم

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥-١٦.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤١/٧، ١٧/٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٤٣.

ويعاونوه، فيرجع معهم إليهم لقتالهم غير منهزمٍ أيضًا، قال تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾.

فأما إن كان الفرار من المعركة لغير هذه الأسباب، فإنه كبيرة من الكبائر السبع الموبقات المهلكات، قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منهن: «**التولي يوم الزحف**»[1]. فمن الناحية الحربية والنفسية، فإن فرار الرجل من المعركة يهون الفرار على رجالٍ آخرين فيقتدون به ويتبعونه في فراره، وبذلك تتخلخل صفوف الجيش وتدب فيها الفوضى، بل ربما يؤدي هذا الفرار أيضًا إلى تثبيط همم وعزائم الباقين في القتال، فتضعف النفوس عن القتال، وقد يؤدي كل ذلك إلى الهزيمة في هذه المعركة.

وكما نهى الله -عزَّ وجلَّ- عن الفرار والتولي يوم المعركة، أمر بالثبات والصبر عند قتال الكفار، فالتقى الأمر والنهي على سواء. وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له. وأمر المؤمنين كذلك بذكر الله كثيرًا والدعاء بالنصر عليهم والظفر بهم، لعلهم ينجحون ويظفرون بالعدو، ويرزقهم الله النصر عليهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]. ففي هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنَّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**». ثم قال: «**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»[3].

فالواجب على المؤمن طاعة الله -عزَّ وجلَّ- والثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفر ولا ينكل ولا يجبن، وأن يذكر الله في تلك الحال ولا ينساه، بل يستعين به، ويتوكل عليه، ويسأله النصر على أعدائه، ولا يتنازع فيما بينه وبين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب: رمي المحصنات.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: لا تمنوا لقاء العدو.

المؤمنين أيضًا فيختلفوا، فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم، وذهاب قوتهم وجرأتهم وإقدامهم، كما قال تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[1].

وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم؛ فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، وقهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

يغضب الله على مَن يتسمى بملك الأملاك

قال رسول الله ﷺ: «**اشتد غضب الله على رجلٍ تسمى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله عزَّ وجلَّ**»[2]. وقال ﷺ: «**أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله؛ رجل تسمى: ملك الأملاك**»[3]. وفي رواية أخرى «**أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك**»[4].

أخنى وأخنع الأسماء: أي: أذَلُّهَا وأقْهَرُهَا، الخُنُوع: الخُضوع والذّلُّ. والخانعُ: الفاجر. أخنع: أوضع، قال عياض: معناه أنه أشد الأسماء صغارًا. قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذلاً. (تسمى) أي؛ سمى نفسه، أو سمي بذلك فرضي به واستمر عليه.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٩٨٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله.

ملك الأملاك[1]: ملك الأملاك هو رجل أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بينهما يحمل في بطنه العذرة؛ ومع ذلك يتسمى بملك الملوك، وغيره من التسميات التي تطفح بالتعظيم الذي يبغضه الله تعالى وما أنزل به من سلطان؛ لأنه لا ملك إلا هو سبحانه، وهو مالك الملك، وهو ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، قال الله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2].

فالله هو العلي الكبير، وهو العلي العظيم، وهو الكبير المتعال، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه عزَّ وجلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا. وقال تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ**﴾[3]، أي؛ من القذر، فلا يليق بهم هذا التكبر.

وعلى هذا فلا يجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم ولا يدعى به إلا الله تعالى، و«**اشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك**»، أي؛ من تسمى بذلك ودعي به وإن لم يعتقده، فإنه (لا ملك) في الحقيقة (إلا الله) وغيره وإن سمي ملكًا أو مالكًا فإنما هو بطريق التجوز؛ ولأنه مُلك مقيد غير مطلق، بل مُلك خاص يعتريه النقص والعيب من زوال وغيره، وإنما اشتد غضبه عليه لمنازعته لله في ربوبيته وألوهيته، فهو حقيق بأن يمقته عليه فيهينه غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه لجرأته وعدم حيائه في تشبهه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له، فهو ملك الملوك وحده حاكم الحكام وحده، فهو الذي يحكم عليهم كلهم لا غيره.

وفي الحديث مشروعية الأدب في كل شيء؛ لأن الزجر عن ملك الأملاك والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلقًا، سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على

---

(١) راجع: فيض القدير للمناوي ٥١٤/١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩١/١٨، وفتح الباري للعسقلاني ٥٩١/١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٣/٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٣٩.

ملوك الأرض أم على بعضها، سواء كان محقًا في ذلك أم مبطلاً، مع أنه لا يخفى الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقًا، ومن قصده وكان فيه كاذبًا. وقال قتادة: إنما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله. وروي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له: يا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله؟ فقال له: أتعرفني؟ قال نعم، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلب وترك مشيته. نظم الكلام محمود الوراق فقال:

عجبت من معجب بصورته ... وكان في الأصل نطفة مذره
وهو غدًا بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذره
وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذره

وقال آخر:

هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأوساخ مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سَهك ... والعين مُرْمَصة والثغر ملهوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ... قصر فإنك مأكول ومشروب

يغضب الله على شرطة آخر الزمان

قال رسول الله ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم**»[1].

الشرطة: جمع شرطي، سموا بذلك؛ لأن لهم علامة يعرفون بها. وهم أعوان السلطان لتتبع أحوال الناس وحفظهم ولإقامة الحدود. وهم من نصبهم الإمام لتنفيذ الأوامر وما يتعلق به من حبس وضرب وأخذ بمن يستحقه.

شرطة آخر الزمان: شرطة آخر الزمان هم الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ بأنهم سيكونون بعده، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يوشك، إن طالت بك مدة، أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر. يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط**

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٦٦٦.

الله»[1]، أي؛ يغدون بكرة النهار ويروحون آخره وهم في غضبه وسخطه. وهذا من معجزات النبوة؛ لأن الشرطة لم تكن في عصر النبي ﷺ لطهارة ذلك العصر، بل حدثت بعد ذلك العصر، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يكون المسلم من بطانتهم.

وقال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس...**»[2]. وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ؛ فأصحاب السياط هم الشرطة الذين يحملون السياط أو الهراوات التي يضربون بها الناس. والسياط: جمع سوط كأذناب البقر، تسمى في ديار العرب: بالمقارع، جمع مقرعة. «**يضربون بها الناس**» ممن اتهم بنحو سرقة ليصدق في إخباره بما سرق. ويتضمن الحديث أن هذا الصنف سيوجد وكذلك كان، فإنه خلف بعد الصدر الأول قوم يلازمون السياط التي لا يجوز الضرب بها في الحدود قصدًا لتعذيب الناس. وهم أعوان والي الشرطة المعروفون بالجلادين، فإذا أُمِروا بالضرب تعدوا المشروع في الصفة والمقدار، وربما أفضى بهم الهوى وما جُبِلوا عليه من المظالم إلى إهلاك المضروب أو تعظيم عذابه. قال القرطبي: وبالجملة هم سخط الله، عاقب الله بهم شرار خلقه غالبًا، نعوذ بالله من سخطه[3].

قال رسول الله ﷺ: «**إن طالت بك مدة، أوشكت أن ترى قومًا يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته. في أيديهم مثل أذناب البقر**»[4].

يغضب الله على الطاغين في الرزق

قال الله تعالى: ﴿ **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾[5].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: جهنم أعاذنا الله منها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: جهنم أعاذنا الله منها.

(٣) فيض القدير للمناوي ٤/٢٠٨-٢٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: جهنم أعاذنا الله منها.

(٥) سورة طه، الآية: ٨١.

الطغيان: أصل الطغيان مجاوزة الحد، ومنه قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ**﴾[1]، أي؛ ارتفع وعلا وتجاوز المقدار الذي قدرته الخُزان. وقوله في فرعون: ﴿**إِنَّهُ طَغَى**﴾[2]، أي؛ أسرف في الدعوى. والطغيان: التجاوز إلى ما لا يجوز.

الطاغون في الرزق: الطاغون في الرزق هم الذين رزقهم الله رزقًا فطغوا في رزقه، فأخذوه من غير حاجة، وخالفوا ما أمرهم به؛ فحلَّ عليهم غضب الله -عزَّ وجلَّ-.

وهم الذين حملتهم السعة والعافية أن عصوا، وكفروا النعمة ونسوا شكر المنعم بها عليهم.

وهم الذين استبدلوا برزق الله شيئاً آخر، كما قال الله تعالى: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾[3].

وهم الذين يدخرون من الرزق لأيام كثيرة؛ وقبل أن يتمكنوا من استخدامه يكون منه ما يتدود، ومنه ما يفسد، ومنه ما تنتهي صلاحية استخدامه، فيضطرون إلى رميه، ولولا ذلك ما فسد طعام أبدًا.

وهم الذين يحضرون كمية من الطعام تزيد عما سيأكلونه؛ فيرمون الزائد من الطعام في الزبالة، في الوقت الذي يوجد فيه مسلمون يموتون من الجوع وقلة وجود الطعام.

وقد توعد الله - تبارك وتعالى - الطاغين في الرزق بحلول غضبه عليهم، ومَن يحلل عليه غضب الله فقد هلك، وحق له والله الهلاك والدمار، وقد حل عليه غضب الملك الجبار، ولكنه تعالى مزج هذا الوعيد الشديد، بالرجاء لمن أناب وتاب، ولم يستمر على متابعة الشيطان المريد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن**

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١١.

(٢) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

﴿ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[1]، أي؛ كل من تاب إليَّ تبت عليه من أي ذنب كان.

وقوله تعالى: ﴿ تَابَ ﴾ أي؛ رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق، قوله: ﴿ وَآمَنَ ﴾ أي؛ بقلبه، ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي؛ بجوارحه، وقوله: ﴿ ثُمَّ اهْتَدَى ﴾، عن ابن عباس: أي؛ ثم لم يشكك، وقال سعيد بن جبير: أي؛ استقام على السنة والجماعة، وقال قتادة: أي؛ لزم الإسلام حتى يموت.

يغضب الله على الزانية الكاذبة[2]

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[3].

هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته، وتعسَّر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله -عزَّ وجلَّ-، وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به، فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين: أي؛ فيما رماها به من الزنا، ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾. فإذا قال ذلك بانت منه وحرمت عليه أبدًا، ويتوجه عليها حد الزنا.

ولا يدرأ عنها العذاب، أي؛ الحد وهو الرجم، إلا أن تلاعن، فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين: أي؛ أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة، لمن الكاذبين فيما رماها من الزنا. ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٧٦.

(٣) سورة النور، الآيات: ٦-٩.

﴿كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أي؛ أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين. فخصها بالغضب، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميهـا بالزنا إلا وهو صادق معذور وهـي تعلم صدقه فيما رماها به؛ ولهذا كانت الخامسـة في حقها أن غضب الله عليها، والمغضـوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه.

ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة مـا يكون بهم من الضيق، أنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لحرجوا ولشـق عليهم كثيـر من أمورهم، وأن الله تـواب على عباده، وإن كان ذلـك بعد الحلف والأيمان المغلظة، حكيم فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[1].

يغضب الله على مَن لا يدعوه

قال رسـول الله ﷺ: «**إنه مَن لم يسأل الله يغضب عليه**»[2]. وقال ﷺ: «**مَن لم يَدْعُ الله، سبحانه، غَضِبَ عليه**»[3]. أي؛ مَـن لم يطلب من فضل الله يغضب عليه؛ لأنه إمـا قانط، وإما متكبر، وكل واحد من الأمرين موجب الغضب. فهو سـبحانه يحب أن يُسـأل وأن يُلَحَّ عليه، ولم يأمر سبحانه بالسؤال إلا ليعطي، وهذا يعني أن رضى الله في مسألته وطاعته، وإذا رضي سبحانه وتعالى فكل خير في رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه.

السؤال والدعاء[4]: قـال رسـول اللـه ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

(١) سورة النور، الآية: ١٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٦.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٨٥.

(٤) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٨/٢-٢٠٩، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٤٩/١٠.

دَاخِرِينَ ﴾[1] »[2]. أي؛ هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه بحيث إذا أراد شيئًا فلا يطلب ولا يسأل إلا الله -عزَّ وجلَّ-.

لقد أمر الله تعالى عباده بأن يدعوه وحضهم على الدعاء وسماه عبادة، ووعدهم بأن يستجيب لهم، وأخبرهم بأنه قريب يجيب دعوة من دعاه، ويستحي أن يرد يدي عبده خاليتين، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾[3]. وقال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**»[4].

بل إن الله - جلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه - يغضب على من لا يدعوه ويسأله؛ ذلك لأنه «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»[5]؛ لأن الدعاء فيه إظهار الفقر والعجز والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته، وما شُرعت العبادة إلا للخضوع للبارئ وإظهار الافتقار إليه، أما ترك الدعاء والسؤال فإنه تكبر واستغناء عن عطائه ورحمته وهذا لا يجوز للعبد، ونِعم ما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وترى ابن آدم حين يُسأل يغضب

وذلك لأن الله يحب أن يُسأل من فضله ووعد بأن يعطي من يسأله؛ قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[6].

وإذا وجد الإنسان أنه يدعو ولا يُستجاب له فقد يكون لذلك سببًا من نفس هذا الإنسان أو وقوع خلل في شرط من شروط الدعاء؛ فالعبد إذا دعا ربه ولم يكن

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٢٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل.

في دعائه واحد من موانع الإجابة الثلاثة فالاستجابة مؤكدة بواحد من شيئين، قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يُعجَّل له في الدنيا، وإما أن يدَّخر له في الآخرة، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل**» قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: «**يقول: دعوت ربي فما استجاب لي**»[1].

فقول: «دعوت ربي فما استجاب لي» هو إما استبطاء أو إظهار يأس وكلاهما مذموم، أما الأول؛ فلأن الإجابة لها وقت معين كما ورد أن بين دعاء موسى وهارون على فرعون وبين الإجابة أربعين سنة، وأما القنوط فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، مع أن الإجابة على أنواع منها تحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب، ومنها وجوده في وقت آخر لحكمة اقتضت تأخيره، ومنها دفع شر بدله، أو عطاء خير آخر خير من مطلوبه، ومنها ادخاره ليوم يكون أحوج إلى ثوابه.

والمطلوب من الداعي ألا يمل من الدعاء، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، وأن يكون موقنًا بالإجابة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**»[2]، وأن يجتنب موانع إجابة الدعاء كالأشياء الثلاثة الآنفة الذكر وهي الدعاء بإثم أو قطيعة رحم أو الاستعجال؛ ويدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم. ويمنع من إجابة الدعاء أيضًا أكل الحرام وما كان في معناه، قال ﷺ: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك**»[3]، أي؛ من أين يُستجاب لمن هذه صفته وكيف يُستجاب له. وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نِعم الله فلم

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٥٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٦٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب: الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

كذلك لا يعتدي في دعائه بذكر ألفاظ غير جائزة مثل: اللهم إن شئت، قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له**»[1]. وفي الحديث أيضًا أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من رحمة الله فإنه يدعو كريمًا. وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحدًا الدعاء ما يعلم في نفسه -يعني من التقصير- فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: رب أنظرني إلى يوم يُبعثون. قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ**﴾[2].

وعليه أن يعلم أن للدعاء أوقات فاضلة وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة، وذلك كثلث الليل الآخر، وما بين الأذان والإقامة، وفي السجود، ويوم الجمعة، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر والمرض، وغير ذلك من أوقات الإجابة. وأن يلح في الدعاء كما كان يفعل رسول الله ﷺ حيث كان يستحب أن يكرر الدعاء ثلاث مرات، فعن عبد الله بن مسعود، قال: وكان يستحب ثلاثًا يقول: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثلاثًا»[3]. وأخيرًا، لا ينسى الداعي أن أقل ما في الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الأمر بالدعاء الذي هو العبادة.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه تعالى يجيب دعوة المضطر كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾[4]، أي: مَن هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف السوء وضر المضرورين سواه؟ إنه الله تبارك وتعالى، فهو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: ليعزم المسألة، فإنه لا مُكره له.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، الذي يجيب دعوة المضطر سواء كان مؤمنًا أو كافرًا. فالله -جلَّ جلاله- يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ورجاه مخلصًا من أعمق أعماق قلبه، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إلام تدعو، قال ﷺ: «**أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسَّك ضر، فدعوته، كشف عنك. والذي إن ضللت بأرض قفر، دعوته، رد عليك. والذي إن أصابتك سنة، فدعوته، أنبت عليك**»[1].

والدعاء أحد أسباب اكتساب الرزق أيضًا؛ لأنه توجه وسؤال الرزاق الرازق الذي بيده الرزق ويرزق من يشاء بغير حساب، عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً**»[2]، كذلك كان ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والذِّلة**»[3]، فقد كان رسول الله ﷺ نفسه يدعو الله تعالى بأن يرزقه الرزق الطيب ويتعوذ بالله تعالى من الفقر، وعن علي رضي الله عنه، أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ؟ لو كان عليك مثل جبل صِير دينًا أداه الله عنك، قال: قل: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك**»[4]؛ الكتابة هي تعليق عتق العبد على إعطاء سيده كذا من المال؛ وهذا المكاتب قد عجز عن أداء المال الذي كاتبه به سيده وبلغ وقت الأداء وليس له مال فطلب من علي رضي الله عنه أن يعينه بالمال أو بالدعاء بسعة المال فعلمه أن يدعو بهذا الدعاء، وأن يستعين بالله لأدائها ولا يتكل على الغير.

وعلى الداعي ألا يغفل عن شيء مهم لا بد أن يبدأ به الدعاء، ألا وهو حمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ، وقد «سمع رسول الله ﷺ، رجلاً يدعو في صلاته، لم يُمَجِّد الله تعالى، ولم يُصَلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**عَجِلَ**

---

(١) المسند، رقم: ٢٠٥١٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٧٥٣.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٢٨٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٢٢.

هـذا» ثـم دعاه فقال له - أو لغيره -: «إذا صلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه جلَّ وعزَّ والثناء عليه، ثم يُصلِّي على النبي ﷺ، ثم يدعو بَعْدُ بما شاء»[1].

أبغض الخلق إلى الله الخوارج

عـن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسـول اللـه ﷺ: «**أن الحَروريَّـة لما خرجت وهـو مـع علـي بن أبي طالب رضـي الله عنه قالوا: لا حكم إلا للـه . قال علي: كلمة حق أريدَ بها باطل ، إن رسـول الله ﷺ وصف ناسًـا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم -وأشار إلى حلقه- من أبغض خلق الله إليه**»[2].

الخوارج[3]: الخوارج جمع خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سـموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين وخروجهم على الجماعة، وأصل بدعتهم أنهم خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا ينكرون عليه ويتبـرءون منه، ثـم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهـم يكفر ويباح دمه وماله وأهله، وانتقلوا إلى الفعل فاسـتعرضوا الناس فقتلوا من اجتاز بهم من المسـلمين، ومـر بهم عبد الله بن خبـاب بن الأرت وكان واليًا لعلي على بعض تلك البلاد ومعه سرية وهي حامل فقتلوه وبقروا بطن سريته عن ولد، فبلغ عليًا فخرج إليهم بجيشه فأوقـع بهـم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشـرة ولا قُتل ممـن معه إلا نحو العشرة.

ثـم انضم إلى من بقي منهم مَن مال إلى رأيهم فكانوا مختفين في خلافة علي حتى كان منهم عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل عليًا في المسجد عند صلاة الصبح، ثم لما وقع صلح الحسـن ومعاوية ثارت منهم طائفة فأوقع بهم عسكر الشام بمكان

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣١٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج.

(٣) راجع: فتح الباري للعسـقلاني ٢٨٣/١٢-٢٨٦، وشـرح صحيح مسـلم للنووي ١٦٩/٧-١٧٠، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١٥-١٩.

يقـــال له النجيلة، ثم كانوا منقمعين في إمارة زياد وابنه عبيد الله على العراق طول مـــدة معاوية وولده يزيد، وظفر زياد وابنه منهـــم بجماعة فأبادهم بين قتل وحبس طويل، فلما مات يزيد ووقع الافتراق وولي الخلافة عبد الله بن الزبير وأطاعه أهل الأمصار إلا بعض أهل الشـــام ثار مروان فادعى الخلافة وغلب على جميع الشـــام إلـــى مصر، فظهر الخوارج حينئذ بالعراق مـــع نافع بن الأزرق، وباليمامة مع نجدة بـــن عامـــر وزاد نجدة على معتقد الخوارج أن من لم يخرج ويحارب المســـلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم، وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد فأبطلوا رجم المحصن وقطعوا يد السارق من الإبط وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادرًا، وإن لم يكن قادرًا فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقًا وتركوا قتال المشـــركين وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب، ولم يزل البلاء بهم يزيد إلى أن أُمِّر المهلب بن أبي صفـــرة علـــى قتالهم فطاولهم حتى ظفر بهم وتقلل جمعهـــم، ثم لم يزل منهم بقايا تكاثرت فيما بعد وانتشرت في بعض البلاد.

وقـــد تفرع عن الخوارج فـــرق كثيرة؛ قال ابن حزم: ذهـــب نجدة بن عامر من الخـــوارج إلى أن مـــن أتى صغيرة عذب بغيـــر النار، ومن أدمن علـــى صغيرة فهو كمرتكب الكبيرة في التخليد في النار، وذكر أن منهم من غلا في معتقدهم الفاسد فأنكـــر الصلوات الخمس وقال: الواجب صلاة بالغداة وصلاة بالعشـــي، ومنهم من جوز نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت، ومنهم من أنكر أن تكون ســـورة يوسف من القرآن؛ وأن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن عند الله ولو اعتقد الكفر بقلبه.

لقد تنبأ رســـول الله ﷺ بالخوارج وذكرهم في أكثر من حديث، فعندما قســـم ﷺ غنيمـــة بين بعض المســـلمين «أقبـــل رجل غائر العينين مشـــرف الوجنتين ناتئ الجبـــين كث اللحيـــة محلوق فقال: اتـــق الله يا محمد، فقـــال: «**من يطـــع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟**» فســـأله رجل قتله - أحســـبه خالـــد بـــن الوليد - فمنعـــه، فلما ولَّى قـــال: «**إن مـــن ضئضئ هـــذا -أو فـــي عقب**

هذا - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[1]؛ فمن أصل هذا قوم يخرجون من الدين ومن طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، وهم يقتلون المسلمين ويتركون المشركين، وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال. ولو أدرك النبي ﷺ خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف لقتلهم قتلاً عامًا واستأصلهم كما استأصل الله تعالى قوم عاد؛ ففي قتلهم أجرًا كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**»[2]، وهذا بالرغم من أنهم يبالغون في الصلاة والصيام والعمل وقراءة القرآن كما قال ﷺ: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[3]، ففي قوله ﷺ «**فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم**»، قال النووي: هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة وهو إجماع العلماء، قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا وجب قتالهم بعد إنذارهم والاعتذار إليهم، قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾[4]، لكن لا يجهز على جريحهم ولا يتبع منهزمهم ولا يقتل أسيرهم ولا تباح أموالهم، وما لم يخرجوا عن الطاعة وينتصبوا للحرب لا يقاتَلون بل يوعظون ويستتابون من بدعتهم وباطلهم وهذا كله ما لم يكفروا ببدعتهم، فإن كانت بدعة مما يكفرون به جرت عليهم أحكام المرتدين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿**وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله**﴾.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تأكل به...

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

أبغض الناس إلى الله ثلاثة[1]

قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطلِب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**»[2].

ملحد في الحَرَم: الملحد في الحَرَم هو المائل عن الحق الذي يرتكب معصية من المعاصي من الكفر إلى الصغائر في المسجد الحرام، أو يرتكب عملاً حرَّمه الله مما يختص بالبلد الحرام، قال الله تعالى عن المسجد الحرام: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ عن مكة: «**إن الله حرَّم مكة، فلم تحلّ لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار، لا يُختلى خلاها، ولا يُعضد شجرها، ولا يُنفَّر صيدها، ولا تُلتقط لُقَطَتُها إلا لمعرِّف**»[4].

قال العوفي عن ابن عباس ﴿**بِظُلْمٍ**﴾ هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم. وقيل إن احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه. وقال ابن عمر: كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الإنسان: لا والله! وبلى والله! وكلا والله! ولذلك كان له فسطاطان، أحدهما في الحِلّ والآخر في الحَرَم؛ فكان إذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم، وإذا أراد بعض شأنه دخل فسطاط الحِلّ، صيانة للحَرَم عن قولهم كلا والله وبلى والله، حين عظَّم الله الذنب فيه. وكذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما في الحِل والآخر في الحَرَم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلي صلَّى في الحرم،

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢٤/٣، وفتح الباري للعسقلاني ٢١١/١٢، وفيض القدير للمناوي ٨٢/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب: لا يُنفَّر صيد الحَرَم.

فقيل له في ذلك فقال: إن كنا لنتحدث أن من الإلحاد في الحرم أن نقول كلا والله وبلى والله، والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات، فتكون المعصية معصيتين، إحداهما بالمخالفة نفسها والثانية بإسقاط حُرمة البلد الحرام. فإن كانت هذه الأشياء من الإلحاد إلا أنه أعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها؛ ولهذا لما همَّ أصحاب الفيل على تخريب البيت جعل كيدهم في تضليل ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1]، أي؛ أهلكهم ودمرهم وجعل مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في ضياع وخسار، وجعلهم عبرةً ونكالاً لكل من أرادها بسوء.

مبتغ سنة الجاهلية: المبتغ سنة الجاهلية هو الذي يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده أو ولده أو قريبه. وقيل: المراد من يريد إحياء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها. وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه والطيرة والكهانة والنياحة والميسر ومنع القود عن مستحقه ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه كالطيرة والكهانة أو قتل غير القاتل وغير ذلك.

مُطلب الدم بغير حق: مُطلب الدم بغير حق هو الذي يبالغ في الطلب المترتب عليه المطلوب لا مجرد الطلب، وقوله «**بغير حق**» احتراز عمن يقع له مثل ذلك لكن بحق كطلب القصاص مثلاً. وينبه العسقلاني فيقول: وقفت لهذا الحديث على سبب فقرأت في (كتاب مكة لعمر بن شبة).. قال: قتل رجل بالمزدلفة، يعني؛ في غزوة الفتح، فذكر القصة وفيها أن النبي ﷺ قال: «وما أعلم أحدًا أعتى على الله من ثلاثة: رجل قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحل في الجاهلية»، ومن طريق أخرى ولفظه «إن أجرأ الناس على الله» فذكر نحوه وقال فيه: «وطلب بذحول الجاهلية»، الذحل: الثأر أو طلب مكافأة بجناية جُنيت عليك أو عداوة أُتيت إليك أو هو العداوة والحقد.

---

(١) سورة الفيل، الآيات: ٣-٥.

إنما كان هؤلاء الثلاثة أبغض الناس إلى الله؛ لأنهم جمعوا بين الذنب وما يزيد قبحًا من الإلحاد وكونه في الحرم، وإحداث البدعة في الإسلام وكونها من أمر الجاهلية، وقتل نفس لا لغرض بل بمجرد كونه قتلاً؛ ويزيد القبح في الأول باعتبار المحل، وفي الثاني باعتبار الفاعل، وفي الثالث باعتبار الفعل.

أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[1]

قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخَصِم**»[2].

قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ** ﴾[3].

الألد الخصم: هو الفاجر الأعوج الشديد الخصومة، أو هو أشد ذوي الخصام مخاصمة، المولع بها الماهر فيها الحريص عليها المتمادي في الخصام بالباطل، لا يقبل الحق ويدَّعي الباطل، كلما أخذ عليه جانب من الحجة أخذ في آخر، لا ينقطع جداله وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه لكل شيء من خصامه وجهًا ليصرفه عن إرادته من القباحة إلى الملاحة، ويزيِّن بشقشقته الباطل بصورة الحق وعكسه بحيث صار ذلك عادته وديدنه.

إذا كلمك وراجعك رأيت لكلامه طلاوة وباطنه باطل، لسانه أحلى من العسل وقلبه أمر من الصبر، يلبس للناس جلد الضأن من اللين، يشتري الدنيا بالدين.

أعوج المقال، سيئ الفعال، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة، ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ** ﴾[4]، إذا وُعظ في مقاله وفعاله وقيل له: اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق؛ امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم، أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام.

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٤/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥٤/١، وفيض القدير للمناوي ٨٠/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب: الألد الخصم.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

يبغض الله من يبغض الأنصار[1]

قال رسول الله ﷺ: «**الأنصار... لا يبغضهم إلا منافق... من أبغضهم أبغضه الله**»[2].

الأنصار: الأنصار هم الذين آووا النبي ﷺ ومن معه وقاموا بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض. ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجبًا للحسد، والحسد يجر البغض؛ فلهذا جاء التحذير من بغضهم حتى جعل ذلك آية النفاق، كما في قوله ﷺ: «**آية النفاق بغض الأنصار**»[3].

وأما الحروب الواقعة بينهم فإن وقع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة؛ ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذاك حال المجتهدين في الأحكام: للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد.

فمن عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام، وحبهم النبي ﷺ، وحبه إياهم، ثم أبغضهم لهذا؛ كان ذلك دليلاً على نفاقه وفساد سريرته. والله أعلم.

يبغض الله العالم بالدنيا الجاهل بالآخرة

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة**»[4].

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٦٣/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ٦٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار من الإيمان.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٩.

قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1].

عالم الدنيا جاهل الآخرة: عالم الدنيا جاهل الآخرة هو الذي يعلم أمور معيشته ودنيـــاه، وهو خبير في هذه الأمـــور وحريص على النجاح فيها، في الوقت الذي هو فيه عن أمور الآخرة وشؤونها والعمل لها غافل جاهل أعمى.

وإذا كان العلم بالأمور الدنيوية المباحة غير مذموم على ألا يكون على حســـاب الآخرة، فكيف بمن يمعن في تحصيل العلوم والأشـــياء الدنيوية المحرمة والمذمومة التي تبعده عن الله تعالى، ويجهل تمامًا ما يقربه إلى الآخرة ويدنيه منها؟!

فالعلم شـــرف لازم لا يزول، دائم لا يمل، ومَن قدر على الشـــريف الباقي أبد الآباد ورضي بالخسيس الفاني في أمد الآماد فجدير بأن يُبغض لشقاوته وإدباره؛ ولـــو لم يكن من شـــرف العلم إلا أنـــه لا يمتد إليه أيدي الســـراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل لكفى، فكيف وهو بشرطه المتكفل بسعادة الدارين؟![2]

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾[3].

يبغض الله الجعظري الجواظ

قال رســـول الله ﷺ: «**إن الله: يبغض كل جعظري جَوَّاظ، سَخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حِمار بالنهار، عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة**»[4].

الجعظـري: هو الفظ الغليظ المتكبر، أو الأكول الغليظ والقصير، الذي يتمدح وينفخ بما ليس فيه أو عنده.

الجَـوَّاظ: هو الضخم كثير اللحم المختال في مشـــيته، والكثير الكلام والجلبة في الشـــر، والجمـــوع المنوع، والصَّيَّـــاح، والضجـــور، والعاجز، والمتكبـــر الجافي،

(١) سورة الروم، الآية: ٧.

(٢) المناوي: فيض القدير ٢/٢٨٥.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٦.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٨.

والفاجـــر، والفظ الغليظ، والأكول. قال رســـول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة الجوَّاظ، ولا الجعظري**»[1].

السخاب: هو الصخاب؛ كثير الضجيج والخصام، خشبة بالليل، سخاب بالنهار، إذا جنَّ عليه الليل سقط نائمًا كأنه خشبة، فإذا أصبح تساخب على الدنيا شحًا وحرصًا.

الجيفـة: هي جثة الميت وقد أراح، فهو ينام طوال ليله كالجيفة التي لا تتحرك فـــلا قيام ليل ولا صـــلاة فجر، حتى إذا ما اقترب موعد العمل هبَّ من نومه ولبس ثيابه على وجه السرعة وانطلق إلى عمله.

الحمار: هو الذي يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه على حساب آخرته، والأسوأ من ذلك أن يعمل كالحمار لدنيا غيره على حســـاب آخرته، حتى إذا ما جاء موعد النوم ارتمى على فراشه كالجيفة.

يبغض الله الفاحش المتفحش

قال رســـول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش**»[2]. وقال ﷺ: «**إن الله لا يحب كل فاحش متفحش**»[3].

الفاحـش المتفحـش: الفاحش هو المجبول على الفحـــش الذي يتكلم بما يكره ســـماعه أو الذي يرسل لسانه بما لا ينبغي من الســـباب والشتائم والتعيير وبذيء الكلام، ويعبِّر عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة. والمتفحش المتعاطي لذلك المســـتعمل له. وقيل الفاحش المتلبس بالفحش والمتفحـــش المتظاهر به؛ لأنه تعالى طيب جميل فيبغض من لم يكن كذلك، قال تعالى: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[4].

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٠١٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٧.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٥٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

وقيـــل: هو كل من يعمل أعمالاً شـــديدة القبح من ذنوب ومعاصي، وكل خصلة قبيحة فاحشة من الأقوال والأفعال، وكل ما نهى الله -عزَّ وجلَّ- عنه. والمتفحش هو الذي يتكلف الفحش ويتعمده. ومصدر الفحش الخبث واللؤم، والباعث على الفحش إمـــا قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفســـاق وأهل الخبث واللؤم ومَن عادتهم السب. قال رسول الله ﷺ: «**ما كان الفحش في شيء إلا شانه**»[1]، أي؛ ما كان الفحش في شيء إلا عيبه ولو كان جمادًا فكيف بالإنسان.

يبغض الله السائل الملحف

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يبغض السائل المُلْحِفَ**»[2].

الســائل الملحف: هو المتســـول الذي يُلح ويسرف في المسألة من غير اضطرار، ويكلف الناس ما لا يحتاج إليه، فإن من ســـأل وله ما يغنيه عن المســـألة فقد ألحف في المســـألة؛ قال رسول الله ﷺ: «**من اســتغنى أغناه الله، ومن استعف أعفه الله، ومن استكفى كفاه الله، ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف**»[3]. وقد نهى النبي ﷺ عن الإلحاف في المسألة، فقال ﷺ: «**لا تُلحفوا في المسألة**»[4].

فالإلحاح في المسألة والإلحاف فيها مع الغنى عنها منهي عنه؛ وقال رسول الله ﷺ: «**من ســأل الناس أموالهم تكثُرًا فإنما يســأل جمرًا فليســتقل أو ليســتكثر**»[5]، وقال عليه الصلاة والســـلام: «**ما يزال الرجل يســأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليــس فــي وجهه مُزْعَةُ لحم**»[6]، وفي هذا تنبيه على ســـوء حالة مَن يســـأل الناس إلحافاً.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٠٧.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٦.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦٠٢٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

يبغض الله البليغ المتخلل بلسانه[1]

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها**»[2].

قال النبي ﷺ: «**إن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**»[3].

البليغ: البليغ هو المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته، الذي يتخلل بلسانه، أي؛ يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه، تخلل الباقرة وهي البقرة بلسانها، أي؛ يتشدق في الكلام بلسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفًا. وخص البقرة؛ لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسنانها وهي تجمع بلسانها. وأما من بلاغته خلقية فغير مبغوض.

وهو المظهر للتفصح تيهًا على الغير وتفاصحًا واستعلاء ووسيلة إلى الاقتدار على تصغير عظيم أو تعظيم حقير أو بقصد تعجيز غيره أو تزيين الباطل في صورة الحق أو عكسه أو إجلال الحكام له ووجاهته وقبول شفاعته.

والمتشدق هو المتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز ويفتح به فمه، والشدق جانب الفم، فهو يتكلم بملء شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه واستعلاء على غيره، قيل: وهذا من الكبر والرعونة. فالتقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرى به عادة المتفاصحين المدَّعين للخطابة، كل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت ومن العمل المبغوض إلى الله.. بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده: ومقصود

---

(١) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٢٠-١٢١، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٨٣، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/٢٣٧، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٨/١١٨، ٦/١٣٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٨٥.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٤٢.

الـكلام التفهيم للغرض ومـا وراء ذلك تصنع مذموم. ولا يدخل في هذه تحسـين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به.

فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السـجع والتشـدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشـرع ويزجر عنه. قال رسـول الله ﷺ: «**هلك المتنطعـون**» قالها ثلاثًـا[1]. والمتنطعون هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

فلا ينافي كون الجمال في اللسان، ولا أن المروءة في البيان، ولا أنه زينة من زينة الدنيا وبهاء من بهائها، ولا يناقض هذا ﴿ **خَلَقَ الإِنسَـانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾[2]؛ لأن جعله من نعم الوهاب آية أن موضع البغض ما كان على جهة الإعجاب والتعاظم.

يبغض الله ثلاثة رجال

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يَشْـنُؤهُمْ الله... التاجر الحلاف، والفقير المختال، والبخيل المنَّان**»[3]. يَشْنُؤهُم: يبغضهم، والمَشْنُوءُ: المُبْغَضُ.

التاجـر الحلاَّف: هو التاجـر الذي يُكثر من الحلف أثناء البيع، وقد نهى النبي ﷺ عـن الحلف في البيع فقال ﷺ: «**إياكـم وكثرة الحَلف في البيـع فإنه ينفق ثم يمحق**»[4]، وقال ﷺ: «**الحَلِفُ مَنْفَقة للسـلعة، مَمْحقة للبركة**»[5]، فالحلف قد يبيع السلعة إلا أنه قد ينقص أو يمحو أو يبطل بركة الربح، إما بخسارة تلحقه في ماله

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب: هلك المتنطعون.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٣-٤.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب: النهي عن الحلف في البيع.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾.

بأن يسلط الله تعالى عليه وجوهًا يتلف فيها ماله: إما سرقة أو حرقًا أو غصبًا، أو ينفقها على العلاج من أمراض تصيبه أو تصيب أحدًا من أهله وأولاده، أو بإنفاقه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل أو ثوابه في الآجل، أو بقي عنده وحرم نفعه، أو ورثه من لا يحمده، أو غير ذلك مما شاء الله تعالى.

والمراد الحلف الصادق وهو مكروه من غير حاجة، فإن كان الحلف كذبًا فهو محرم وحال صاحبه سيئة جدًا في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، فهؤلاء يحلفون كذبًا ليكسبوا مبالغ زهيدة ودراهم معدودة؛ وقال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»[2].

الفقير المختال: هو الذي لا مال له ومع ذلك يتكبر، وقد التزم معصية الكبر مع بُعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعصية ضرورة مزعجة ولا دواعي متعادة أشبه إقدامه عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فهو قد عدم المال والثروة في الدنيا التي هي سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على الناس لكونه ظاهرًا فيها وحاجات أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟! فلم يبق فعله إلا لضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى[3]، ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[4].

البخيل المنَّان[5]: البخل هو أن يمنع الإنسان الحق الواجب عليه. وهو ضد الكرم والجود. قيل: أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله، وإن رآه الناس

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٣) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١١٧/٢.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٠/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٦/١، وروضة العقلاء لابن حبان ١٩٦، وكتاب الأربعين في أصول الدين للغزالي ٩٦-٩٧.

بخيلاً بما سوى ذلك، وإن أبخل الناس في الدنيا من بخل بحقوق الله، وإن رآه الناس كريمًا جوادًا بما سوى ذلك. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس. وأصل البخل حب المال؛ وحب المال يلهي عن ذكر الله -عزَّ وجلَّ-، ويصرف وجه القلب إلى الدنيا، ويُحكم علاقته فيها، حتى يثقل عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى. والمن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها؛ مثل أن يقول: قد أحسنت إليك وأعطيتك ونحو ذلك. وقيل: المن التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطَى فيؤذيه.

والبخيل المنَّان هو الذي يعطي الشيء فيمنّه بالقول أو الفعل، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾[1]، الأذى: السب والتشكي، وهو أعم من المنِّ؛ لأن المنَّ جزء من الأذى. فالصدقة نفسها تبطل بما يتبعها من المنِّ والأذى، فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المنِّ والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه.

يبغض الله أربعة رجال

قال رسول الله ﷺ: «**أربعة يبغضهم الله تعالى: البياع الحلَّاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر**»[2].

وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٨٨٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم.

البياع الحلاف: تقدم الكلام عليه؛ وفيه أنه التاجر الذي يُكثر من الحلف أثناء البيع. وإنما أبغضه الله تعالى؛ لأنه انتهك ما عظَّم الله من أسمائه وجعله سببًا وحيلة لدرك ما حقره من الدنيا لعظمها في قلبه، فبغضه ومقته؛ هذا في الحلف الصادق فما بالك بالكاذب؟

الفقير المختال: تقدم الكلام عليه؛ وفيه أنه الذي لا مال له ومع ذلك يتكبر. وإنما أبغضه الله -عزَّ وجلَّ-؛ لأنه تعالى قد زوى عنه أسباب الكبر بحمايته له عن الدنيا فأبى لؤم طبعه إلا التكبر ولم يشكر نعمة الفقر.

الشيخ الزاني[1]: الشيخ الزاني هو الرجل الكبير السن العجوز الذي ضعفت قدرته الجنسية وضعفت شهوته إليها ومع ذلك يسعى إلى ارتكاب فاحشة الزنا!؛ فهذا قد التزم هذه المعصية مع بُعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعصية ضرورة مزعجة ولا دواعي متعادة أشبه إقدامه عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول ما مرَّ عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء واختلال دواعيه لذلك عنده ما يريحه من دواعي الحلال في هذا ويخلي سره منه فكيف بالزنا الحرام؟! وإنما دواعي ذلك الشباب والحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة لضعف العقل وصغر السن. ولكن أبى سوء طبعه إلا التهافت في معصية ربه.

الإمام الجائر[2]: الإمام الجائر هو الذي أنعم الله تعالى عليه بالإمارة أو الرياسة أو القيادة أو المنصب أو المسؤولية ونحو ذلك فأبى شؤم شح طبعه إلا الجور وكفر النعمة. فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ويجب عليه حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل في الحكم، وأن يكون محافظًا مؤتمنًا ملتزمًا صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، وكل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١١٧/٢.

(٢) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٦٦/٢، ٢١٣/١٢، وفتح الباري للعسقلاني ١١٣/١٣، ١٢٨.

فالراعي ليس مطلوبًا لذاته وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك فينبغي ألا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه. وقد دعا رسول الله ﷺ على من يتولى أمرًا من أمور المسلمين ثم يشق عليهم ويجور، فقال ﷺ: «**اللهم مَن وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقُق عليه، ومَن وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»[1].

وقال ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة**»[2]. ويحصل ذلك بظلمه لهم بأخذ أموالهم أو سفك دمائهم أو انتهاك أعراضهم وحبس حقوقهم وترك تعريفهم ما يجب عليهم في أمر دينهم ودنياهم، وبإهمال إقامة الحدود فيهم وردع المفسدين منهم وترك حمايتهم ونحو ذلك. فالله تعالى إنما ولاه على عباده ليديم لهم النصيحة لا ليغشهم حتى يموت على ذلك، فلما قلب القضية استحق أن يعاقب. ومعنى «**حرَّم الله عليه الجنة**» أي؛ أنفذ الله تعالى عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين. وقال ﷺ: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**»[3]. وهذا وعيد شديد على أئمة الجور؛ فمن ضيَّع من استرعاه الله تعالى أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد (يوم القيامة) فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة؟!

قال القاضي عياض رحمه الله: معناه بيِّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئًا من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذبِّ عنها لكل متصد لإدخال داخلة فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم، وقد نبَّه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته**»[1]. وقد بشَّر النبي ﷺ بسوء عاقبة الذين يظلمون في حكمهم فقال ﷺ: «**إن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشده عذابًا إمام جائر**»[2].

يبغض الله الغني الظلوم

قال رسول الله ﷺ: «**والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم**»[3].

الغني الظلوم: الغني الظلوم هو الذي أنعم الله عليه بالمال الكثير وجعله غنيًا فأبى إلا الظلم.

فهو يظلم نفسه بامتناعه عن دفع الزكاة المتوجبة عليه للفقراء عاصيًا أمر الله تعالى بأداء الزكاة، وذلك بخلاً وشحًا وطمعًا، ففي مثله يقول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾[4]. فهذا الذي يجمع الأموال ويكنزها ولا يؤدي زكاتها يُعذب بها، وهذا في غاية العدل، فإن من أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله عذب به، قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[5]، وقال ﷺ: «**هم الأخسرون ورب الكعبة**» فقلت: يا رسول الله فداك أبي وأمي مَن هم؟ قال: «**هم**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١١١١٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢١٤٢٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة.

الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا (من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله) **وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أُخراها عادت عليه أُولاها حتى يُقضى بين الناس»**[1].

وفي الوقت الذي يمتنع فيه عن دفع الزكاة تراه يلهث في الليل والنهار في جمع المال وتكديسه وكنزه في البيوت والمصارف، ولا يهمه إن أتى من طرق حلال أم حرام، ولا يتردد في التعامل بالربا لمزيد من تكديس الأموال وكنزها، فلا يشعر أبدًا بالاكتفاء، ولا يقتنع أبدًا بما لديه من الأموال الكثيرة، بل كلما جمع مالاً طمع في غيره، قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[2]، وكلما كبر في السن ازداد حبه للمال كما قال ﷺ: «**يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر**»[3].

وهو يظلم الناس بمطله؛ فإذا استقرض مالاً من أحد واستحق عليه أداؤه ماطله الأيام تلو الأيام فلا يؤدي ما عليه من دَين إلا بعد جهد جهيد، وقد قال النبي ﷺ: «**مطل الغني ظلم**»[4]، وأصل المطل المد، وقيل: المطل المدافعة، والمراد هنا تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر.

وهو يظلم موظفيه أو خدمه أو من يعملون له بعض الأعمال بتأخيره إعطاء أجورهم فلا يدفعها لهم عند استحقاقها ، مع أن رسول الله ﷺ يقول: «**أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه**»[5]، هذا إذا لم يأكل حقوقهم فلا يدفع لهم أي شيء، فمثل هذا الرجل سيكون الله خصمه يوم القيامة كما أخبر رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب: مطل الغني ظلم.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٩٨٠.

«قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[1].

وهو يظلم نفسه بتكبره وترفعه عن مخاطبة الفقراء أو حتى السلام عليهم، فإذا هم بدءوه السلام لم يرد عليهم أو خرج الرد منه همسًا لا يُسمع منه سوى حرف أو حرفان، وهو يحتقرهم ويتعالى عليهم حتى أنه يمتنع عن حضور صلاة الجماعة معللاً بأنه سيقف عن يمينه وشماله عمال من هنا وهناك من البلدان الفقيرة، وما علم ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[2].

وهو يظلم نفسه وأقاربه بقطيعة الرحم فيقطع ما أمر الله به أن يوصل، فلا يصل قرابته؛ لأنه يرى أنهم فقراء وليسوا بمستواه الاجتماعي والمالي، وإن قاموا هم بوصله يظن بهم السوء ويعتقد أنهم يطمعون في ماله وإلا لما زاروه أو سألوا عنه، فلا يكفيه أن الله يبغضه لأنه غني ظلوم فيضيف إلى أعماله البغيضة عملاً بغيضًا آخر بل أبغض الأعمال إلى الله بعد الشرك به وهو قطيعة الرحم؛ حيث إن رسول الله ﷺ قال: «**أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله، ثم قطيعة الرحم**»[3].

وهو يظلم نفسه بارتكابه المعاصي بأمواله التي رزقه الله إياها؛ فبدلاً من أن يكون شاكرًا لله على ما أنعم الله عليه من النعم الكثيرة فيطيع الله فيما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويعطف على الفقراء ويتصدق عليهم، فيكون بذلك شاكرًا لله فيزيده الله من فضله كما قال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[4]؛ تجده يستخدم هذه الأموال في ارتكاب المعاصي المختلفة، وربما سافر إلى بلدان الكفر لارتكاب الزنا وشرب الخمر وغير ذلك من الفواحش والآثام التي حرمها الله تعالى؛ فهو لا يعمل بالنصف الأول من الآية السابقة فيشكر الله حتى يزيده، بل يعمل بالنصف الثاني من الآية نفسها ﴿**وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ حتى يعذبه الله العذاب الشديد إما في الآخرة وإما في الدنيا والآخرة جميعًا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: إثم من باع حرًا.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

يكره الله لقاء من يكره لقاءه

قال رسول الله ﷺ: «**من كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[1]. وقال ﷺ: «**قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه**»[2].

كره لقاء الله: فسَّر رسول الله ﷺ مَن كره لقاء الله كره الله لقاءه عندما سألته عائشة رضي الله عنها فقالت: يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، فقال ﷺ: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حُضرَ بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه**»[3].

وجاء شريح بن هانئ إلى عائشة رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك مَن هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه**». وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه[4].

فالكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويُكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم، ويجزل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدِّلوا كلام الله**﴾.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم، ويبعدهم عن رحمته وكرامته[1].

واللقاء يقع على أوجه[2]: منها المعاينة، ومنها البعث كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾[3]، منها الموت كقوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾[4] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[5]. قيل: المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت؛ لأن كلا يكرهه، فمن آثر الدنيا وركن إليها كره لقاء الله؛ لأنه إنما يصل إليه بالموت. وقيل: ليس وجهه كراهة الموت وشدته؛ لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة. ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قومًا بحب الحياة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[6].

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ١٠/١٧.

(٢) العسقلاني: فتح الباري ٣٥٩/١١-٣٦٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٦) سورة يونس، الآيتان: ٧-٨.